



# إيثار حروف الجر بعضها على بعض في لغة القران الكريم

د. سعدون خلف عبد

كلية التربية للبنات - جامعة الأنبار



### المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على رسول الله الذي أنزل عليه القرآن، فكان وما زال وسيبقى معجزة الله الخالدة التي لا تأفل شمسها ولا تخلق على كثرة الرد، متلوة بالأسنن محفوظة في القلوب محسوسة بالوجدان.

لذا كان القرآن الكريم معقد اهتمام الدارسين للكشف عن مناحي إعجازه في مختلف الفنون، للوقوف على سره الكامن ووجهه المعجز. أسرارها لا تنقطع وعجائبه لا تنقضي، وما زال يعطيك من سره كلما تلطفت بالوقوف عليه، فكل من منحه ساعة من وقته أكرمه بنخيرة من جواهره.

وكل جيل يقف على سر جديد فيه في مختلف مناحي الحياة، وستجد فيه الأجيال مالم يخطر لنا فيه على بال، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وحاول العلماء الوقوف على أسرار هذا السِّفر القادم من السماء، ومن مجالات أسرار إعجازه في نظمه، إذ إنه "أورد كل لفظة في مكانها المناسب ببراعة مذهلة وفائقة، والتزم الدقة في مراعاة دلالة الألفاظ وإيرادها بطريقة تعجز عنها الخلاق"<sup>(١)</sup>.

ومن مناحي نظمه وضعه حروف الجر في المكان اللائق بها، وهو باب يسلط فيه النظر على المبنى والمعنى، ومن ثم تتفقد الحقائق للنظر فيه بعد تأمل، ونفاذ في بواطن المسائل، متجاوزاً الظواهر المكشوفة إلى الخفايا المستترة<sup>(٢)</sup>.

وقبل الدخول في الموضوع لابد من الإشارة إلى مسألة خلافية بين البصريين والكوفيين، فقد ذهب الكوفيون ومن وافقهم من البصريين<sup>(٣)</sup> إلى أن حروف الجر قد ينوب بعضها عن بعض، فمثلاً قد تأتي الباء بمعنى (على) كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدُّ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: الآية ٧٥] أي: على قطار، وتأتي بمعنى (عن) نحو قوله سبحانه: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: الآية ١] أي: عن عذاب، وتأتي (من) بمعنى (على) كقوله ﷺ: ﴿وَتَصَرَّنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا﴾ [الأنبياء: الآية ٧٧] أي: على القوم، وتأتي بمعنى (عن) كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ [ق: الآية ٢٢] أي: عن هذا<sup>(٤)</sup>.



"ومذهب جمهور البصريين أن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس، كما أن أحرف الجزم والنصب كذلك، وما أوهم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلاً يقبله اللفظ .. وإما على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف، كما ضمن بعضهم ... (أحسن) في «وقد أحسن بي» [يوسف: الآية ١٠٠] معنى (لطف)، وإما على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى" (٥).

والترخص في الأخذ بمذهب الكوفيين هو عدول عن المعاني الظاهرة المقصودة إلى معانٍ مضمرة غير مقصودة (٦) "إذ الأصل في كل حرف أن لا يدل إلا على ما وُضع له، ولا يدل على معنى حرف آخر" (٧).

وقد نبّه الزجاج إلى خطأ القول بأن (إلى) بمعنى (مع) في قوله تعالى على- لسان عيسى عليه السلام: «قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» [آل عمران: الآية ٥٢] وإنما الحرفان قد تقاربا في الفائدة فيظن الضعيف العلم باللغة أن معناه واحد (٨).

وقد نعى الزمخشري على الذين أهملوا النظر في تتبع الفروق بين حروف المعاني في الكتاب العزيز فقال: "فإن قلت: «يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى» [فاطر: الآية ١٣ والزمر: الآية ٥] و«يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» [القمان: الآية ٢٩] أهو من تعاقب الحرفين؟ قلت: كلا، لا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن، ولكن المعنيين - أعني الانتهاء والاختصاص - كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض، لأن قولك: «يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى»، معناه: يبلغه وينتهي إليه، وقولك: «يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى»، تريد يجري لإدراك أجل مسمى، تجعل الجري مختصاً بأدراك أجل مسمى" (٩).

وكذلك نعى ابن جني على الذين يطردون الباب في تعاقب الحروف، وعنده ان القول بذلك ساذج من الصنعة بعيد عن الصواب، نعم، قد يكون الحرف بمعنى الحرف الآخر في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له، أما في كل موضع وعلى كل حال فلا، وان لم يكن هناك مسوِّغٌ يُلجأ فيه إلى التضمين (١٠).

وفي هذا قال ابن القيم: "وظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر، وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة، بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ومعنى مع غيره، فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال، فيثربون



## إيثار حروف الجر بعضها على بعض



الفعل المتعدي به معناه. هذه طريقة إمام الصناعة سيبويه -رحمه الله تعالى- وطريقة حذاق أصحابه، يضمّنون الفعل معنى الفعل، لا يقيمون الحرف مقام الحرف، وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار، تستدعي فطنة ولطافة في الذهن<sup>(١١)</sup>. والتضمين في النحو واللغة هو "إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه"<sup>(١٢)</sup>، أو "أن نقصد بلفظ فعل معناه الحقيقي ويلاحظ معه معنى فعل آخر يناسبه ويدل عليه بذكر شيء من متعلقاته"<sup>(١٣)</sup>. ولا اختصاص للتضمنين بالفعل بل يجري في الاسم أيضاً<sup>(١٤)</sup>.

والغرض من التضمنين هو التوسع في المعنى مع الإيجاز، وذلك بإعطاء مجموع معنيين، المعنى الحقيقي للفظ والمعنى المضمّن، قال الزمخشري في الفعل (عدا) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: الآية ٢٨]: "إنما عدي بـ(عن) لتضمن (عدا) معنى (نبا وعلا) في قولك: نبت عنه عينه، وعلت عنه عينه، إذا اقتحمته ولم تعلق به، فإن قلت: أي غرض في هذا التضمنين؟ وهلا قيل: ولا تعدهم عينك، أو: ولا تعل عينك عنهم؟ قلت: الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ، ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تفتحنهم عينك مجاوزتين إلى غيرهم؟ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: الآية ٢] أي: لا تضموها إليها آكلين لها"<sup>(١٥)</sup>. ولا يعدل عن هذا الأصل إلا بقرينة<sup>(١٦)</sup>. وهو من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز.

وحمل بعض القدماء والمحدثين القول بالتضمنين على الحيرة والاضطراب<sup>(١٧)</sup> كما أن الترخّص بالقول بتناوب حروف الجر سيؤدي إلى ضرب من العجمة وعدم البيان وإلى فوضى في التعبير لا حد لها<sup>(١٨)</sup>.

لذا فإن هذا البحث لا يأخذ بالتضمنين، ولا يأخذ بتناوب حروف الجر أيضاً للغة التي ذكرناها، وإنما ينظر إلى أن لكل حرف معناه الذي وضع له في اللغة كما مر بنا، لأن التراكيب اللغوية يختلف معناها باختلاف حروف الجر الداخلة فيها، فمثلاً الفعل (خرج) يتعدى بعدة حروف، فنقول: خرج من الشدة، أي خلص منها، وخرج على السلطان، أي تمرد عليه وثار، وخرج في العلم والصناعة، أي نبغ فيهما<sup>(١٩)</sup>.

وكذلك الفعل (رَغِبَ) يتعدي بـ(في وعن وإلى والباء)<sup>(٢٠)</sup>، فنقول: رغبت في



## إِثَارَ حُرُوفِ الْجَرِّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ



الشيء إذا أردته، ورغبتُ عن الشيء إذا لم ترده وزهدت فيه<sup>(٢١)</sup>. ورغبتُ إليه في كذا إذا سألتَه إياه، ورغبتُ بنفسِي عن الشيء إذا ترفعت عنه<sup>(٢٢)</sup>.

وإيضاح ذلك أن (رغبت في الشيء) أفاد معنى (أردته)، لأن (في) تدل على الظرفية<sup>(٢٣)</sup> فكان الرغبة صارت مظروفاً والشيء ظرف لها، و(رغبت عنه) أفاد عدم إرادته، لأن (عن) تفيد المجاوزة عن الشيء والاحتراف عنه<sup>(٢٤)</sup>، وهكذا يقال في المسائل الأخرى، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

فلاحظ أن الفعل في كل مجموعة واحد، وتتجدد له دلالة مع كل حرف يتعدى به، وهذه المعاني نابعة من الدلالات التي تفيدها حروف الجر من خلال تركيبها مع ذلك الفعل، لا من الفعل وحده.

فعلى هذا، يكون لحروف الجر دور بارز في الكشف عن دقائق المعاني من خلال التراكيب، وتعلق الكلام ببعضه ببعض، فتتولد دلالات مختلفة باختلاف الحروف الداخلة في التركيب.

لذلك فإن العلماء لمسوا دقة تلك الألفاظ ووضعوها في المكان المناسب لها. فراحوا يعللون اختيارها وإيثارها على غيرها بحسبهم اللغوي، لإفادة المعاني المرادة، ساعين من خلال ذلك إلى إظهار جمال التعبير القرآني في استعمال تلك الحروف، " إذ كل عدول من تعبير إلى تعبير لابد أن يصحبه عدول من معنى إلى معنى، فالأوجه التعبيرية المتعددة إنما هي صور لأوجه معنوية متعددة"<sup>(٢٥)</sup>. ومن هنا، كانت دراسة أية جزئية من جزئيات لغة القرآن الكريم، تُعد كشفاً عن سمة من سمات إعجازه.

وفيما يأتي أمثلة من ذلك مرتبة في ورودها على حروف المعجم:

١. إيثار الباء.

أ. إيثار (الباء) على (إلى).

من ذلك ما جاء في قوله تعالى -على لسان يوسف عليه السلام-: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ

بِي﴾ [يوسف: الآية ١٠٠].

ذهب جمع من علماء العربية إلى أن الباء في الآية الكريمة بمعنى (إلى)،

أي: أحسنَ إليَّ<sup>(٢٦)</sup>. وذهب آخرون إلى تضمين (أحسن) معنى (لطف) أي: لطف

بِي<sup>(٢٧)</sup>.



## إِثَارَ حُرُوفِ الْجَرِّ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ



والراجح أن المسألة ليست من باب تناوب الحروف، ولا من باب التضمين، وإنما جاءت الباء على بابها في إفادة معنى الإلصاق، وهو معنى لا يفارقها، لذا اقتصر عليه سيبويه<sup>(٢٨)</sup>.

وذكر الزمخشري أن (أحسن) يتعدى بالي وبالباء، ولكنه لم يذكر الفرق بينهما<sup>(٢٩)</sup>.

كما ذكر أبو حيان، أن الأصل في هذا الفعل أن يتعدى بالي، وقد يتعدى بالباء نحو قوله تعالى: ﴿وَيَالِ الْيَتِيمِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: الآية ٢٣] كما يقال: أساء إليه وبه<sup>(٣٠)</sup>.

وذكر الآلوسي مع هذه الآراء رأياً آخر، هو أن المفعول محذوف، أي: أحسن صنعه بي، وعلى هذا فإن الباء متعلقة بالمفعول المحذوف، ولكن فيه حذف المصدر وإبقاء معموله، وهو ممنوع عند البصريين<sup>(٣١)</sup>.

وكان الزركشي أقربهم إلى إدراك معنى الباء هنا، إذ ذكر " أنه يقال: أحسن بي وإلي، وهي مختلفة المعاني، وأليقها بيوسف ~~الطاهر~~ (بي)، لأنه إحسان درج فيه دون أن يقصد الغاية التي صار إليها"<sup>(٣٢)</sup>. لأن التعبير القرآني هو بصدد ذكر بعض من الله التي وضعها به، بدليل تنمة الآية بعد ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكَ مِنَ الْبَنُو مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾.

وقد وقف الدكتور فاضل السامرائي طويلاً، عند الفرق في المعنى، بين تعدي (أحسن) بالي وتعديته بالباء، فقال: " ثمة فرق بين (أحسن إليه) و(أحسن به)، فإن معنى (أحسن إليه) قدم إليه إحساناً أو صنع له إحساناً، أما (أحسن به) فمعناه: وضع إحسانه به، ومن ذلك أنك تقول: أحسنت بهذا الأمر وأحسنت بعملك، أي: ألصقت إحسانك بعملك ووضعت به، ولا تقول: أحسنت إلى عملك ولا: أحسنت إلى هذا الأمر، إلا على معنى آخر، وهو أنك قدمت إليه إحساناً، وهو معنى مجازي.

فإن الإحسان في (أحسن به) ألصق، إذ إن فيه معنى الرعاية واللفظ، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: الآية ٧٧]، وقال على لسان سيدنا يوسف ~~عليه السلام~~: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [يوسف: الآية ١٠٠]، ففي الثانية إحسان خاص يختلف عن الأول، فإن الآية الأولى في عموم الخلق، وإحسان الله إلى الخلق إحسان عام يشترك فيه سيدنا يوسف وبقيّة الخلق. أما قوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ فإن



فيه إحساناً خاصاً ألصق من الأول، إذ أخرجه من السجن وبوأه مكانة عالية، وجاء إليه بأهله، وما إلى ذلك من العناية الربانية واللفظ<sup>(٣٣)</sup>.

لذا فإن التعبير القرآني أثر تعدية (أحسن) بالباء على تعديته بإلى، لأنه لم يقصد الغاية التي صار إليها يوسف عليه السلام، كما أن اللطف الذي قال به المضمنون يمكن أن يتأتى من باء الإلصاق، لأنك عندما تلتصق إحسانك بآخر وتجعله متلبساً به فانك لطفت به، وهذا تحصيل حاصل، فلا حاجة إلى اللجوء إلى التضمنين، والله اعلم.

ب. إيثار الباء على (في).

مثال ذلك ما ورد في قوله ﷻ في حكاية نوح عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِي إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: الآيتان ٦٠-٦١].

نلاحظ أن السياق القرآني خالف بين مقولة قوم نوح باستخدام (في) ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، وبين رده عليهم بإيثار حرف الباء ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾، ولم يقل: (لست في ضلال أو ليس في ضلال) ليطابق قوله مقولتهم.

وفي هذا السياق القرآني نلاحظ أن جواب نوح عليه السلام فيه إيثاران، الأول: إيثار نحوي، متمثل بإيثار (الباء) على (في)، والثاني: إيثار صرفي، متمثل بإيثار اسم المرة (ضلالة) على المصدر (ضلال).

والعلة في هذا - والله اعلم - إن استعمالهم (في) الدالة على الظرفية<sup>(٣٤)</sup>، يعنون أن الضلال -حاشاه- أصبح وعاء وظرفاً له منغمساً فيه، يحيط به من كل جانب وهو مظروف له، أرادوا أنه متمكن في الضلال غير منفك عنه، لذا ناسب مجيء جوابه المنفي بالباء -الدالة على الإلصاق- إيثاراً على (في)، إمعاناً في نفي اقترابه من الضلال ولصوق أدنى ضلالة به، فضلاً عن انغماسه في الضلال أصلاً، وهذا يؤكد مجيء اسم المرة (ضلالة) ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾<sup>(٣٥)</sup>، قال الزمخشري: "فإن قلت: لم قال: (ليس بي ضلالة) ولم يقل (ضلال) كما قالوا؟ قلت: (الضلالة) أخص من (الضلال)، فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه، كأنه قال: ليس بي شيء من الضلال، كما لو قيل لك: ألك تمر؟ فقلت ما لي تمر؟"<sup>(٣٦)</sup>.

وفي هذا قال الألوسي: "إنه ﷻ في قوله ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ نفى للضلال



## إيثار حروف الجر بعضها على بعض



عن نفسه الكريمة على أبلغ وجه، فإن (التاء) للمرة، لأن مقام المبالغة في الجواب لقولهم الأحق يقتضي ذلك، والوحدة المستفادة منه باعتبار أقل ما ينطق، فيرجع حاصل المعنى: ليس بي أقل قليل من الضلال فضلاً عن الضلال المبين ... وفي (المثل السائر): الأسماء المفردة الواقعة على الجنس التي تكون بينها وبين واحدها تاء التانيث، متى أريد النفي كان استعمال واحدها ابلغ، ومتى أريد الإثبات كان استعمالها أبلغ كما في هذه الآية ... وإنما بالغ - عليهم السلام - في النفي لمبالغتهم في الإثبات، حيث جعلوه - وحاشاه - مستقراً في الضلال الواضح<sup>(٣٧)</sup>.

ومبالغتهم تتمثل بمجيء ثلاثة مؤكدات على كونه - حاشاه - منغمساً في الضلال هي: (إن) ولام التوكيد والمجيء بالصفة (مبين)، لذا فإن مبالغته في نفي الضلال عنه كانت مناسبة ولائقة جداً بمقولتهم تلك.

وهذا الإيثار - أعني إيثار (باء) الإلصاق على (في) الظرفية - واسم المرة، ورد في القرآن الكريم في سياق خطاب قوم هود لنبيهم عليه السلام في نفي أي داع يدعو إليه الشك منهم ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَقَاةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكََاذِبِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٦٦] فجاء رده عليهم ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَقَاةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٦٧].

ومن نافلة القول أن أورد ما ذكره الزمخشري في هذا الميدان بقوله: " وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلال والسفاهة، بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحزم والإغضاء وترك المقابلة، بما قالوا لهم - مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفهمهم - أدباً حسن وخلق عظيم، وحكاية الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء، وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم<sup>(٣٨)</sup>.

ج. إيثار (الباء) على (من).

مثال هذا الإيثار ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَابِرَانَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً \* عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾ [الإنسان: الآيتان ٥-٦].

نلاحظ أن الفعل (يشرب) عدي بـ (من) أولاً فقال: ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾، ثم





أثر السياق القرآني تعديته بالباء ثانياً فقال: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا﴾ ولم يقل (عَيْنَا يشرب منها) كما قال أولاً ليتشاكل السياق على نمط واحد.

ولعلماء العربية أقوال في هذه المسألة، فقد قيل إن الباء بمعنى (من) التبعية، أي يشرب منها، وأثبت لها هذا المعنى الأصمعي وابن قتيبة وأبو علي الفارسي وابن مالك ونقل عن الكوفيين<sup>(٣٩)</sup>، واستدلوا على ذلك بهذه الآية الكريمة، وبقوله تعالى: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: الآية ٢٨].

وقيل: إن الباء زائدة في الآيتين، والمعنى: يشربها عباد الله ويشربها المقربون<sup>(٤٠)</sup>، قال الفراء: "يشرب بها ويشربها سواء في المعنى"<sup>(٤١)</sup>، واستدلوا على زيادتها بقراءة ابن أبي عبلة: (يشربها)<sup>(٤٢)</sup>.

وذهب قسم من علماء العربية إلى القول بالتضمنين، قال ابن قيم الجوزية: "... فإنهم يضمون (يشرب) معنى (يروي)، فيعدونه بالباء التي تطلبها، فيكون في ذلك دليل على الفعلين، أحدهما بالتصريح به والثاني بالتضمن، والإشارة إليه بالحرف الذي يقتضيه مع غاية الاختصار، وهذا من بدیع اللغة ومحاسنها وكمالها ... وهذا أحسن من أن يقال: (يشرب منها) فإنه لا دلالة فيه على الري، وإن يقال: (يروي بها) لأنه لا يدل على الشرب بصريحه بل باللزوم. فإذا قال: (يشرب بها) دل على الشرب بصريحه وعلى الري، بخلاف الباء فتأمل"<sup>(٤٣)</sup>.

ولا يسلم لابن القيم قوله: إن عبارة (يشرب منها) لا دلالة فيها على الري، لأنه **وصف الأبرار بقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾** فعذی فعل الشرب بـ(من)، فضلاً عن أن الشرب في الجنان لا يكون لغرض الارتواء، لأنه لا ظمأ فيها، إذ يقول المولى **﴿إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى \* وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾** [طه: الآيتان ١١٨ - ١١٩]، لأن الشرب فيها ضرب من النعيم المقيم<sup>(٤٤)</sup>.

وبعد إن ذكر الزركشي أن التضمنين هو من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز، نكر قولاً آخر هو أن لا مجاز في الآية الكريمة أصلاً، بل إن التعبير جاء على حقيقته لأن "العين هاهنا إشارة إلى المكان الذي ينبع، منه الماء، لا إلى الماء نفسه، نحو: نزلت بعين، فصار كقوله: مكاتاً يشرب منه"<sup>(٤٥)</sup>.

وعلى هذا المعنى، فالأظهر أن الباء هنا ليست بمعنى (من) وليست زائدة،



كما أن الفعل ليس من باب التضمين، بل إن الباء جاءت على بابها في إفادة معنى الإلصاق المكاتي، "فقولك: يشربون بالعين، معناه أنهم يكونون بها، كما تقول: (أقمنا بالعين وأكلنا وشربنا بها)، أي هم قريبون من العين يشربون منها، بخلاف قولك: (يشربون منها)، فإنه ليس فيه نص على معنى القرب من العين، فقولك: أكلت من تفاح بستانك، لا يدل دلالة قاطعة على أنك كنت بالبستان، بل ربما حمل إليك.

فقوله: (يشرب بها) يدل على أنهم نازلون بالعين يشربون منها، فهو يدل على القرب والشرب. فالتمتع حاصل بلذتي النظر والشراب، بخلاف الأولى<sup>(٤٦)</sup>. ويمكن أن يستفاد من معنى الإلصاق أيضاً أنها ملاصقة لأفواههم، وفيه مزيد مبالغة في وصف النعيم الذي هم حالون فيه، فهم يشربون من عين يكاد يلاصق ماؤها أفواههم من غير بذل أي عناء في الشرب، فكان العين صارت وعاء للماء، وفي مألوف الاستعمال اللغوي نقول: شربت بالكأس من العين، فتكون الكأس هي الأداة المشروب بها، فتدخل الباء على آلة الشرب، فعباد الله الخالص يشربون بالعين، فكان العين صارت بمثابة الكأس لعباد الله، يشربون بها أيضاً ما هو أكبر من العين، وهو السعادة والسرور الأبديين.

وفي ذلك إمعان في نفي وجود أدنى عناء في التمتع بالنعيم في الجنة، على خلاف المعهود في متع الدنيا. وهذا نظير قوله تعالى في وصف سرر الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: الآية ٤٧]، ولم يقل: على سرر متجاورين، وذلك لينفي عنهم وجود أي عناء في أن يلتفت الأخ إلى أخيه<sup>(٤٧)</sup>.

ويؤيد هذا ما قاله المفسرون في تنمة الآية الكريمة: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾، أي يجرونها حيث شاءوا من منازلهم إجراء سهلاً لا يمتنع عليهم<sup>(٤٨)</sup>، فهي قريبة من تناولهم كأنها ملاصقة لأفواههم.

وقد وقف الزمخشري على وجه المخالفة بين تعدية فعل (الشرب) بـ(من) أولاً وبالباء ثانياً فقال: "فإن قلت: لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولاً وبحرف الإلصاق آخر؟ قلت: لأن الكأس مبدأ شربهم وأول غايته، وأما العين فيها يمزجون شربهم، فكان المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول: شربت الماء



كما وقف الدكتور فاضل السامرائي على سر المخالفة في التعبير بإيثار (الباء) على (من) في الشرابين، ولعل ما ذكره هو أقرب إلى دلالة السياق، إذ إن السياق الذي يتحدث عنه القرآن الكريم هو سياق نعيم، وهذه المخالفة فيه - كما قالوا - راجعة إلى المفارقة بين جزاء السعداء، إذ إن الآيتين تتحدثان عن صنفين من أهل الجنة، الأول: صنف الأبرار، والآخر سماهم (عباد الله)، وهم أعلى مرتبة ممن قبلهم، ويتفاضل الناس بمقدار هذه العبودية، فكلما كان الشخص أكمل في عبوديته هذه وأتم كان أقرب إلى سيده، وتطلق هذه الصفة - صفة العبودية - على أعلى الخلق وهم الأنبياء في مقام التشريف، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: الآية ١٩] وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: الآية ١] وقال: ﴿ثَرِيَّةٌ مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: الآية ٣].

من هذا يتبين أن مرتبة الذين سماهم (عباد الله) أعلى من مرتبة الأبرار. وقد فرق بين النعيمين كما فرق بين الصنفين، فقد وصف نعيم الأبرار بأنهم يشربون من كأس، وإن هذه الكأس ليست خالصة بل ممزجة: ﴿كَأَن مِّزَاجُهَا كَافُورًا﴾، وأما الصنف الآخر - وهم عباد الله - فهم لا يشربون من كأس يؤتى بها، بل يشربون خالصة من العين، وهي مرتبة أعلى، لذا قال ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ ولم يقل (يشرب منها)، أي: يرتعون بها. وفوق هذا فهم يتمتعون بلذة النظر وهم نازلون بالعين.

وهذا التعبير الذي مرّ نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ \* عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ \* تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ \* يُسْقَوْنَ مِنْ رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ \* خِتَامُهُ مِسْكٌ \* فِي تِلْكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ \* وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ \* عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: الآيات ٢٢ - ٢٨].

فذكر صنفين من السعداء، صنف الأبرار وصنف السابقين المقربين، وهم أعلى الخلق، فالأبرار يسقون من رحيق ممزوج بالتسним، والتسним أعلى شراب في الجنة، في حين قال في الصنف الآخر: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾، فالمقربون يشربون من عين التسنيم خالصة، فإنهم كما أخلصوا أنفسهم وأعمالهم لله أخلص لهم الشراب، والجزاء من جنس العمل وهم لا يشربون منها، بل يشربون بها<sup>(٥٠)</sup>.



وفضلاً عما أفادته الباء من معنى القرب من العين والنزول بها، أو أن العين صارت بمثابة آلة شربهم ملاصقة لأفواههم فضلاً عن أبدانهم ملاصقة النعيم لصاحبه لا ينفك عنه بحال، فإنّ التعبير بها يتسع أيضاً لعباد الله الخالص أنّ الشرب بالعين ليس هو الغاية في النعيم، وإنما العين وسيلة موصلة إلى النعيم كما يشي بذلك النص الكريم.

وإن شئت فقدّر محذوفاً، وقل يشربون بها السعادة والنعيم المقيم الذي لا نظير له، لأن متع الدنيا ولذائذها غاية في حد ذاتها، فالشرب فيها هو لذات الشرب حتى يحصل الارتواء بعد ظمأ قد حل، والشرب في الجنة ليس مقصوداً لذات الارتواء والسلامة من عطب أو هلاك وإنما هو نعيم مقيم<sup>(٥١)</sup>. والعين لا ينقص منها شيء بل هي في تفجير وازدياد. وكل ذلك في معرض الإناس والتكريم وإعلان الفضل تارة والقرب من الله تارة أخرى<sup>(٥٢)</sup>.

\*\*\*

٢. إيثَار (على).

أ. إيثَار (على) على (إلى).

مثل هذا الإيثار قوله ﷺ: «فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ \* مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ \* فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ» [الصفات: الآيات ٩١ - ٩٣].

نلاحظ أن الفعل (راغ) تعدى بـ(إلى) الدالة على الغاية<sup>(٥٣)</sup>، أولاً وبـ(على) الدالة على الاستعلاء ثانياً<sup>(٥٤)</sup>، ولم يأت السياق على وتيرة واحدة بأن يكون: (فراغ إلى آلهتهم ... فراغ إليهم ضرباً) أو (فراغ على آلهتهم ... فراغ عليهم ضرباً) ليطرّد السياق على نمط واحد.

ولابد لهذا الإيثار من مغزى. ويمكن تلمس ذلك من خلال معرفة دلالة الفعل



(راغ)، ففي اللسان أنك تقول: راغ فلان إلى فلان أي مال إليه سرّاً، ويكون ذلك بانحراف في استخفاء<sup>(٥٥)</sup>، أي: إنّ إبراهيم عليه السلام تسال إلى أصنامهم في خفاء، وكانت غايته الوصول إليها كما أفاده بذلك الحرف (إلى)، فمال مستعياً عليها ضرباً كما يفهم من استخدام (على).

وقد نبّه الراغب الأصفهاني إلى نكتة إيثار (على) هنا فقال: " راغ فلان إلى فلان، مال نحوه لأمر يريده منه بالاحتتيال، قال ... ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي مال، وحقيقته طَبَّبَ بضرب من الروغان، ونَبَّه بقوله (على) على معنى الاستعلاء<sup>(٥٦)</sup>. فكانه استولى على تلك الأصنام وقهرها.

ووقف محمد الأمين الخضري عند سر هذا الإيثار فقال: " فلما كان قوله: ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ﴾ يعبر عن قصد إبراهيم إلى أصنامهم والسعي إليها خفية جيء بـ(إلى) معبرة عن انتهائه إليها، ومشيرة إلى جعل وصوله إليها غاية لا يلوي معها على شيء، حتى يحقق ما عزم عليه، ثم حين أراد القرآن تصوير ما فعله إبراهيم بآلهتهم وإغارته عليها جيء بـ(على) لتدل بمعنى الاستعلاء فيها على تمكنه منها وقهره لها، وما لحقها من آثار التدمير<sup>(٥٧)</sup>.

ومن هذا تظهر حكمة التعبير القرآني بإيثار حرف الاستعلاء (على) على حرف الغاية (إلى)، لأن المعنى هنا يتطلب ذلك، لما في (على)، من معنى الاستيلاء والقهر، وهو ينهال عليها ضرباً بكل ما أوتي من قوة كما تنبئ عن ذلك كلمة (باليمين).

وهذا ينطلق من حقيقة (على) التي تدل على الاستعلاء، تقول: هذا على ظهر الجبل، وعلينا أمير، وعليه دين، لأنه شيء اعتلاه<sup>(٥٨)</sup>.

ومن هذا القبيل: أعني إيثار (على) على (إلى) ما ورد في قوله ﷻ: ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ \* أَنْ اغْدُوا عَلَى حَرِّئِكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾ [القلم: ٢١-٢٢].

ففي المعهود اللغوي أنّ (غدا) يتعدى بـ(إلى)، ففي المعجم الوسيط: يقال: غدا إلى كذا إذا أصبح إليه<sup>(٥٩)</sup>، ولكن التعبير القرآني أثر (على) هنا.

وقد تساءل الزمخشري عن سرّ هذا الإيثار فقال: " هلا قيل: اغدوا إلى حركم، وما معنى (على)؟ قلت: لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه، كان غدواً عليه، كما تقول: غدا عليهم العدو. ويجوز أن يضمن (الغدو) معنى الإقبال ... أي:



فَأَقْبِلُوا عَلَى حُرَّتِكُمْ بِأَكْرَبِينَ»<sup>(٦٠)</sup>.

ولم يسلم للزمخشري عند أبي حيان أن (غدا) يتعدى بـ(إلى)، وتعقبه بقوله: "واستسلف الزمخشري أن (غدا) يتعدى بـ(إلى)، ويحتاج ذلك إلى نقل، بحيث يكثر ذلك فيصير أصلاً فيه، ويتأول ما خالفه، والذي في حفظي أنه يتعدى بـ(على)...<sup>(٦١)</sup>. وهذا ما ورد في القاموس المحيط، أنك تقول: غدا عليه غُدْوًا"<sup>(٦٢)</sup>.

ويجوز عند الآلوسي " أن يكون من (غدا عليه) إذا غار، بأن يكون قد شبّه غوهم لقطع الثمار بغدو الجيش على شيء، لأن معنى الاستعلاء والاستيلاء موجود فيه، وهو الصرم والقطع"<sup>(٦٣)</sup>.

وهذا المعنى مستفاد من دلالة (على).

وقد وقف الخطيب الإسكافي على الفرق بين (أنزل إلينا) و(أنزل علينا) في قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: الآية ١٣٦]، وقوله: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ [آل عمران: الآية ٨٤]. خلاصته أن كل حرف جاء في المكان الذي يقتضيه المعنى، إذ إن (على) للاستعلاء، وهي موضوعة لكون الشيء فوق الشيء، وهي مختصة من الجهات كلها بجهة واحدة هي الفوقية، وأما (إلى) فهي لانتهاه الغاية من أية جهة أتيت، فلا تتخصص بجهة واحدة كما تتخصص (على)<sup>(٦٤)</sup>.

لذا يترجح ما سبق أن إثار (على) على (إلى) في غوهم على الحرث، يشبه غدو الجيش على شيء للاستيلاء والسيطرة عليه، من غير اللجوء إلى القول بتضمين (غدا) معنى (أقبل) لتصح تعديته بـ(على)، والله أعلم.

ب. إثار (على) على (في).

مثال ذلك قوله ﷺ: ﴿أَقَامِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ \* أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ \* أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنْ رَبِّكُمْ لَرْؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: الآيات ٤٥ - ٤٧].

نلاحظ في السياق القرآني الكريم أن الفعل (أخذ) تعدى إلى مفعوله الثاني بحرف الجر (في) أولاً فقال: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ﴾ ثم أثر السياق عليه الحرف



## إيثار حروف الجر بعضها على بعض



(على) ثانياً فقال: «أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ». ولكي نحاول الوقوف على سر هذا الإيثار، نرى من المفيد الوقوف على معنى (الأخذ والتقلب والتخوف).  
فالأخذ هنا بمعنى الإهلاك والمعاقبة<sup>(٦٥)</sup>، والتقلب ما يتقلبون فيه من الأسفار، أي تصرفهم في أسفارهم<sup>(٦٦)</sup>. والتخوف: ظهور الخوف من الإنسان، يقال: تخوفناهم أي: تنقصناهم تنقصاً اقتضاه الخوف من الشيء<sup>(٦٧)</sup>، أي: يأخذهم العذاب وهم متخوفون، أو على تنقص، بأن ينقصهم شيئاً فشيئاً في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا<sup>(٦٨)</sup>.

وقد حاول أكثر من ناظر في القرآن الكريم الوقوف على سر إيثار (على) على (في) في فعل الأخذ.

فقد ذكر الآلوسي أنه: "جئ بـ(في) مع التقلب وبـ(على) مع التخوف، قيل: لأن في التقلب حركتين، فكان الشخص المتقلب بينهما، ولا كذلك التخوف، وقيل: لما كان التقلب شاغلاً للإنسان بسائر جوارحه حتى كأنه محيط به، وهو مظروف فيه جئ بـ(في) معه، والتخوف أي المخافة إنما يقوم بعضو من أعضائه فقط، وهو القلب المحيط به بدن الإنسان، فلذا جئ بـ(على) معه، وقيل إن (على) بمعنى (مع)..."<sup>(٦٩)</sup>. هكذا قال الآلوسي.

وحاول محمد الأمين الخضري الوقوف على سر هذا التنوع في التعبير فقال: "لأن إيثار حرف الظرفية مع التقلب، قصد به الادلال على كمال القدرة الإلهية في الوصول بالانتقام إلى من يريد، مهما بدا للمأخوذ أنه في كمال القدرة والقوة، ذلك أن التقلب يعني حركة الحياة التي أقبل عليها مقترفو السيئات، مما يدل على أنهم في كامل صحتهم وقوتهم وكمال سلطانهم وجبروتهم، وهم في هذه الحال لا يستطيعون أن يفوتوا الله ويعجزوه هرباً، لذلك تناسب مجيء الفاصلة القرآنية بعدها قوله: «فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ»<sup>(٧٠)</sup>.

ونذكر أيضاً أن سر إيثار (على) في قوله تعالى: «أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ». "أن الاستعلاء فيها يدل على أن الله زادهم عذاباً فوق عذاب الخوف وآلامه، وهو بلاء كان قد وقع بهم من قبل، وأصابهم بأمراض الذعر والقلق وافتقار الأمن والطمأنينة، ثم جاء عقابه وأخذهم بما اقترفوه بلاءً فوق بلاء، وعذاباً على عذاب"<sup>(٧١)</sup>. وهذا المعنى متأت من حقيقة (على) التي تفيد معنى الاستعلاء والقهر



والتسلط.

وكما أفادت (على) هنا معنى القهر والاستعلاء، فهي تفيد أيضاً العلو والتشريف والتفضيل في سياق الخبر كما سيأتي - إن شاء الله - في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: الآية ٢٤]. ومن هذا تبين أن كل حرف جاء في المكان اللاق به ليدل على المعنى المراد والله اعلم.

ج. إيثار (على) على (اللام).

مثال ذلك ما جاء في قوله ﷺ: ﴿لَا يَكْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦].

نرى المخالفة بين حرفي الجر (اللام) و(على) في سياق الآية الكريمة ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، ولم يأت السياق على نسق واحد بأن يكون: (لها ما كسبت ولها ما اكتسبت) أو (عليها ما كسبت وعليها ما اكتسبت).

وعلة ذلك عند المفسرين وعلماء العربية من خلال الاستقراء، أن اللام تأتي مع الخير والنفع، و(على) تأتي مع الشر والضرر غالباً، وذلك انطلاقاً من معنى اللام التي تفيد الاختصاص والملك والاستحقاق<sup>(٧٢)</sup>. ومن معنى (على) التي تدل على الاستعلاء والقهر والاستيلاء. قال ابن جني: "إن العرب قد يستعملون (على) في الأفعال الشاقة المستقلة، فيقولون: قد سرنا عسراً وبقيت علينا ليلتان، وتقول: حفظت القرآن وبقيت عليّ منه سورتان، وقد صمنا عشرين من الشهر وبقيت علينا عشر، وإنما اطردت (على) في هذه الأفعال، من حيث كانت (على) في الأصل للاستعلاء.. فلما كانت هذه الأحوال كلفاً ومشاقاً تخفض الإنسان وتضعه وتعلوه ... حتى يخنع لها ويخضع لما يتسذاه منها، كان ذلك من مواضع (على)، ألا تراهم يقولون: هذا لك وهذا عليك، فتستعمل اللام فيما تؤثره و(على) فيما تكرهه"<sup>(٧٣)</sup>.

وهذا ما ذهب إليه الزمخشري عند تعرضه لمعنى الآية الكريمة، أي: ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر<sup>(٧٤)</sup>.

وفي هذا قال ابن عطية: "جاءت العبارة في الحسنات بـ(لها) من حيث هي مما يفرح الإنسان بكسبه ويسر فتضاف إلى ملكه، وجاءت في السيئات بـ(عليها)





من حيث هي أوزار وأثقال ومتحملات صعبة، وهذا كما تقول: لي مال وعلي دين» (٧٥).

وهذا المعنى عند الآلوسي على حذف مضاف هو (ثواب) في الأول و(عقاب) في الآخر، أي: لها ثواب ما كسبت وعليها عقاب ما اكتسبت، وذكر أن مفسر (ما) الأولى (الخير) بدلالة اللام الدالة على النفع، ومفسر (ما) الثانية الشر بدلالة (على) الدالة على الضر (٧٦).

وما ذهب إليه المفسرون قال به أصحاب البلاغة أيضاً، فقد ذكر الشريف المرتضى أن (على) في بعض المواضع لا تجيء إلا لتدل على الشر والأمر المكروه، وأما (اللام وعن) فعلى خلافها، لأنهما يستعملان في الخير، فقولهم: (قال علي كذا) و(روى علي كذا)، فإنه يقال في الشر والكذب والإتعاء، أما إذا قيل: (قال عني كذا) و(روى عني كذا) فيكون ذلك في الخير والحق (٧٧).

ونلاحظ هذا الاطراد في السياق القرآني - أعني مجيء (اللام) مع النافع و(على) مع الضار غالباً، كما في الآية الكريمة التي نحن بصددنا، وكما في قوله تعالى: ﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: الآية ١٥]، وقوله عز اسمه: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [هود: الآية ٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠١].

ومجيء هذه المخالفة بين المعنيين المتضادين أو المتقابلين في الجملة، أطلق عليه البلاغيون الطباق أو التضاد (٧٨).

والملاحظ أيضاً أن التعبير القرآني في الآية الكريمة، خالف بين تصريفي الفعلين (كسب واكتسب).

وقد وقف الزمخشري عند سرّ هذه المخالفة فقال: "إِنْ قُلْتَ: لِمَ خَصَّ الْخَيْرَ بِالْكَسْبِ وَالشَّرَّ بِالْاِكْتِسَابِ؟ قُلْتَ: فِي (الْاِكْتِسَابِ) اِعْتِمَالٌ، فَلَمَّا كَانَ الشَّرُّ مِمَّا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ وَهِيَ مَنْجُوبَةٌ إِلَيْهِ وَأَمَارَةٌ بِهِ، كَانَتْ فِي تَحْصِيلِهِ أَعْمَلُ وَأَجْدُ، فَجُعِلَتْ لَذَلِكَ مَكْتَسِبَةً فِيهِ، وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ فِي بَابِ الْخَيْرِ وَصِفَتْ بِمَا لَا دَلَالَه فِيهِ عَلَى الْاِعْتِمَالِ" (٧٩).

وإلى ما في صيغة (اكتسب) من الاعتمال والتكلف ذهب ابن عطية (٨٠) وأبو



حيان<sup>(٨١)</sup>، إذ إنَّ زيادةَ بناءِ الفعلِ تدلُّ على التَّكَلُّفِ في العملِ.

جاء في الخصائص في باب (قوة اللفظ لقوة المعنى) في الآية الكريمة "إن كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير مُستصغر، وذلك لقوله عزَّ اسمه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا﴾ [الأَنْعَام: الآية ١٦٠]، أَفَلَا تَرَى أَنَّ الحسنةَ تصغرُ بإضافتها إلى جزائها صَغُرَ الواحد إلى العشرة؟ ولما كان جزاء السيئة إنما هو بمثلها لم تُحْتَقَرْ إلى الجزاء عنها، فَعَلِمَ بِذَلِكَ قُوَّةَ فعل السيئة على فعل الحسنة ... فإذا كان فعل السيئة ذاهباً بصاحبه إلى هذه الغاية البعيدة المترامية، عَظُمَ قدرها وفُحِّمَ لفظ العبارة عنها ... فزِيدَ في لفظ فعل السيئة وانتَقَصَ من لفظ فعل الحسنة لما ذكرنا<sup>(٨٢)</sup>.

وفي هذا قال الزركشي: "واعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثم نُقِلَ إلى وزن آخر أعلى منه، فلا بد أن يتضمَّن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً، لأن الألفاظ أُلِّفَت المعاني، فإذا زِيدَت الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة<sup>(٨٣)</sup>.

وعند الجوهري أن (كسب واكتسب) كلاهما بمعنى<sup>(٨٤)</sup>. وتابع في ذلك أبو حيان فقال: "الصحيح عند أهل اللغة أن (الكسب والاكْتِسَاب) واحد، والقرآن ناطق بذلك، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: الآية ٣٨]، وقال: ﴿لَا تُكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأَنْعَام: الآية ١٦٤]، وقال: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: الآية ٨١]، وقال: ﴿بَغِيرَ مَا اكْتَسَبُوا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٨]. ومنهم من فرق، فقال الاكتساب أخص من الكسب، لأن الكسب ينقسم إلى كسب لنفسه ولغيره، والاكْتِسَاب لا يكون إلا لنفسه<sup>(٨٥)</sup>.

والراجح ما ذهب إليه المفرقون بين الصيغتين من أن تكثير اللفظ لتكثير المعنى، وهو ما ذهب إليه إمام العربية سيبويه<sup>(٨٦)</sup>: "ولاشك أنه لو لم يختلف المعنى لم تختلف الصيغة، إذ كل عدول عن صيغة إلى أخرى لابد أن يصحبه عدول عن معنى إلى آخر إلا إذا كان ذلك لغة<sup>(٨٧)</sup>.

د. إيثار (على) على (من).

مثال ذلك قوله ﷺ: ﴿وَيَلِّ لِلْمُطَفِّينَ \* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ \* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: الآيات ١-٣].



## إيثار حروف الجر بعضها على بعض



معنى الآية الكريمة: إذا أخذوا من الناس ما أخذوا بحكم الشراء ونحوه كيلاً يأخذونه وافيأً وافرأً، و(إذا كالوهم) أي كالوا لهم أو وزنوا لهم للبيع يُنقصون<sup>(٨٨)</sup>. ذهب كثير من المفسرين وعلماء العربية إلى أن (على) بمعنى (من) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ أي اكْتَالُوا من الناس لأنفسهم<sup>(٨٩)</sup>. وهو ما ذكره ابن منظور عن ثعلب الكوفي<sup>(٩٠)</sup>.

وقيل: ضُمَّن الفعل (اكْتَالُوا) معنى استولوا وتسلطوا، لذا عُدِّي بِـ(على)، جاء في روح المعاني: إن إيثار (على) هنا على (من) قيل: لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء، أو للإشارة إلى أنه اكتيال مضر للناس<sup>(٩١)</sup>.

والظاهر أن (على) هنا على بابها لإفادة معنى الاستعلاء والاستيلاء والتسلط. وبسبب من إفادة (على) هذا المعنى وضع الزمخشري يده على السر في إيثارها على (من) فقال: "لما كان اكتيالهم من الناس اكتيلاً يضرهم ويُحامل فيه عليهم أبدل (على) مكان (من) للدلالة على ذلك"<sup>(٩٢)</sup>.

وعلى هذا فإنّ (على) تتعلق بِـ(اكْتَالُوا)، وأجاز أن تتعلق بِـ(يستوفون)، ويقدم المفعول على الفعل لإفادة الاختصاص، أي: يستوفون على الناس خاصة، فأما أنفسهم فيستوفون لها<sup>(٩٣)</sup>.

والقول بأنّ (على) بمعنى (من) لا يفيد المعنى الذي يفيد القول بأنّ (على) على بابها في إفادة معنى الجور والظلم.

وقد وقف الدكتور فاضل السامرائي على الفرق بينهما في هذا الموضع فقال: "إنّ هناك فرقاً بين قولك: (اكْتَال منه واكْتَال عليه)، فـ(اكْتَال منه) لا يفيد أنه ظلّمه حقّه وهضمه ماله، بخلاف (اكْتَال عليه)، فإن فيه معنى التسلط والاستعلاء ... فهم إذا أخذوا منهم أخذوا أكثر من حقهم، وإذا أعطوهم أعطوهم أقل من حقهم، ففيه إذن معنى التحكم والجور والظلم، وهو أبلغ من (من) ولا تفيد (من) هذا المعنى"<sup>(٩٤)</sup>.

وهذا ينطلق من حقيقة (على) التي تفيد الاستعلاء، ويفهم منها معنى الاستيلاء والثقل، فهم يقولون: فلان عليه دين وعليه قصاص، كأنما هذه أثقال يحملها على عنقه وعلى ظهره، ويقولون: هو على ضلال، أي: أنه امتطى الضلال واتخذته مركباً يقوده إلى السوء<sup>(٩٥)</sup>.



\*\*\*

٣. إيثار (عن).

أ. إيثار (عن) على (على).

من ذلك قوله ﷺ: «وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ» [محمد: الآية ٣٨].

قيل: إنَّ (عن) هنا بمعنى (على) التي تفيد الاستعلاء، أي: يبخل على نفسه<sup>(١٦)</sup>.

وقيل: بل هي على بابها لإفادة معنى المجاوزة، أي: يبعد الخير عن نفسه بالبخل<sup>(١٧)</sup>. أو لا يتعدى ضرر بخله إلى غير نفسه<sup>(١٨)</sup>.

والأصل في (بخل) أن يتعدى بالباء، تقول بخل الرجل بكذا<sup>(١٩)</sup>، ومنه قوله تعالى: «سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ» [آل عمران: الآية ١٨٠] و«فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخَلُوا بِهِ» [التوبة: الآية ٧٦].

ونكر المفسرون في قوله تعالى: «فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ» أنه يقال: بخلت عليه وبخلت عنه<sup>(٢٠)</sup>، وعلة تعديته هنا بـ(عن) عند الآلوسي أن (البخل) فيه معنى المنع ومعنى التضيق على مَنْ مَنَعَ عَنْهُ المعروف، لذا ناسب أن يعدى بـ(عن)<sup>(٢١)</sup> إيثاراً على (على) لإفادة هذا المعنى، لـ"أنَّ ثمة فرقاً بين قولك: (يبخل على نفسه) و(يبخل عن نفسه)، فقولك (يبخل على نفسه) معناه أنَّ عاقبة بخله تعود عليه، كقوله تعالى: «لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ» [البقرة: الآية ٢٨٦]. لما كانت العاقبة سوءَ جى بـ(على) وكقوله تعالى: «إِنَّمَا يَغْنَمُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ» [يونس: الآية ٢٣]، ويحتمل معنى آخر، هو أنه لا ينفق على نفسه، أي يثقلها بالبخل، فكان البخل حمل يعطوه.

وأما (بخله عن نفسه) فمعناه: إنَّه يبخل منصرفاً عن نفسه، أي منصرفاً عن مصلحة نفسه مبتعداً عنها. فإن البخل في الحقيقة ابتعاد عن مصلحة النفس، فكأنه يبتعد عن نفسه بالبخل بخلاف الاتفاق فانه لها<sup>(٢٢)</sup>.

وعلى هذا، فإن معنى المجاوزة والابتعاد عن النفس ظاهر في إيثار (عن)، وهو أشهر معانيها، فضلاً عن أن البصريين لم يثبتوا لها غير هذا المعنى<sup>(٢٣)</sup>.



ب. إِيثَار (عَنْ) عَلَى (مِنْ).

مثال ذلك ما ورد في قوله تعالى - وهو يذكر مقولة إبليس -: ﴿قَالَ قَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ \* ثُمَّ لَأَنْتَبِهَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: الآيتان ١٦ - ١٧].

نلاحظ أنَّ التعبير القرآني المعجز قد غاير في تعدية الفعل (أتى)، فعده في الموضع الأول بـ(مِنْ) فقال: ﴿ثُمَّ لَأَنْتَبِهَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، ثم أثر عليه (عَنْ) في الموضع الثاني فقال: ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ ولم يطرد السياق على نمط واحد بأن يكون (مِنْ أَيْمَانِهِمْ وَمِنْ شَمَائِلِهِمْ) كما قال في الموضع الأول. ولكي نقف على سر هذا الإيثار ينبغي الوقوف على دلالة كلٍّ مِنْ (عَنْ وَمِنْ). وقد مرَّ بنا أنَّ (عَنْ) تفيد المجاوزة، وإيضاح ذلك كما ذكر سيبويه "أنَّك تقول: أطعمه عن جوع [أي] جعل الجوع منصرفاً تاركاً له قد جاوزه ... وتقول: جلس عن يمينه [أي] فجعله متراخياً عن بدنه، وجعله في المكان الذي بحيال يمينه ... وتقول: أضربت عنه وأعرضت عنه وانصرف عنه إنما تريد أنه تراخى عنه وجاوزه إلى غيره" (١٠٤).

أما (مِنْ) فتفيد معنى ابتداء الغاية (١٠٥)، فلما كانت (مِنْ) تفيد هذا المعنى، فهذا يعني أنَّ مبدأ إتيان إبليس كان من تلكما الجهتين: ﴿ثُمَّ لَأَنْتَبِهَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، ولما كانت (عَنْ) تفيد المجاوزة، كان معناه أن إبليس أتاهما منحرفاً عنهما متجاوزاً لهما (١٠٦): ﴿عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾.

وأوضح ذلك الزمخشري بقوله: "فإن قلت: كيف قيل: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، بحرف الابتداء ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾. بحرف المجاوزة؟ قلت: المفعول فيه عُدِّي إليه الفعل نحو تعديته إلى المفعول به، فكما اختلفت حروف التعدية في ذاك اختلفت في هذا. وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس. وإنما يفتش عن صحة موقعها فقط، فلما سمعناهم يقولون: جلس عن يمينه وعلى يمينه، وعن شماله وعلى شماله، قلنا: معنى (على يمينه) أنه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه، ومعنى (عن يمينه) أنه جلس متجافياً عن صاحب اليمين منحرفاً عنه غير ملاصق له. ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره" (١٠٧).



ولم يكتفِ الزمخشري بالوقوف على سر هذا الإيثار فقط، وإنما وقف عند حدود صحة التركيب. وقد تعقبه أبو حيان محاولاً الكشف عن نكتة هذا الإيثار فقال: "وهذا الكلام لا بأس به، وأقول: إنما خص (بين الأيدي والخلف) بحرف الابتداء الذي هو أمكن في الإتيان، لأنهما أغلب ما يجئ العدو منهما فينال فرصته، وقدم (بين الأيدي) على (الخلف) لأنها الجهة التي تدل على إقدام العدو وبسائطه في مواجهة قرنه غير خائف منه، و(الخلف) جهة غدر ومخاتلة، وجهالة القرن بمن يقاتله ويتطلب غرته وغفلته. وخص (الأيمان والشمال) بالحرف الذي يدل على المجاوزة، لأنهما ليستا بأغلب ما يأتي منهما العدو، وإنما يتجاوز إتيانه إلى الجهة التي هي أغلب في ذلك. وقدمت (الأيمان) على (الشمال) لأنها الجهة التي هي أقوى في ملاقات العدو، و(بالإيمان) البطش والدفع، فالقرن الذي يأتي من جهتها أبسل وأشجع، إذ جاء من الجهة التي هي أقوى في الدفع، و(الشمال) جهة ليست في القوة والدفع كالإيمان" (١٠٨).

وللرازي تعليل لطيف في إيثار (عن) على (من)، وهو أن (اليمن والشمال) فيهما مكان لقوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدًا﴾ [ق: الآية ١٧]، لذلك فإن إبليس يتجاوزهما ويتجافى عنهما. ومن هذا يتبين أنه حضر على هاتين الجهتين ملكان ولم يحضرا في القدام والخلف، والشيطان يتباعد عن الملك، فلهذه النكتة خص التعبير القرآني اليمن والشمال بالحرف (عن) لأجل إفادتها البعد والمباينة (١٠٩).

والآية الكريمة تنص على أن إبليس توعد المؤمنين، بأنه سيأتيهم من الجهات الأربع، التي يأتي منها العدو في الغالب، وهذا تمثيل لوسوسته إليهم وتسويله ما أمكنه ذلك وقدر عليه (١١٠).

كما يمكن أن يشي النص الكريم، بأن حركة الشيطان في إغواء الناس تختلف باختلاف قوة إيمانهم ويقظتهم، فاختلقت بموجب ذلك جهات إقدامه عليهم، فالغافل المفرط في الغفلة يواجهه من أمامه فيستحوذ عليه، ثم يليه من كان دون ذلك في الغفلة، فيبتدس له من خلفه، أما المؤمن اليقظ فحسبه أن يتجاوزته عن يمينه وشماله متجافياً عنه غير ملتصق به، فضلاً عن وجود ملكين عن اليمن والشمال يقتضي تجاوزهما (١١١).





أيضاً، وإنما هي على بابها في إفادة الظرفية. إذ إنها تفيد الظرفية حقيقة أم مجازاً، كذا قرر النحاة<sup>(١١٩)</sup>. ووجه ذلك أنه شبه تمكّن المصلوب في الجذع بتمكّن الشيء الموعى في وعائه، ودلت (في) على إيقائهم على جنوع النخل زمناً طويلاً، وتشبيه استمرارهم على الجنوع باستقرار الظرف في المظروف المشتمل عليه<sup>(١٢٠)</sup>، فصار الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور على سبيل المجاز<sup>(١٢١)</sup>. بل ساق أبو حيان خبراً مفاده أن (في) على بابها في إفادة الظرفية حقيقة بأن "نقر فرعون الخشب وصلبهم في داخله، فصار ظرفاً لهم حقيقة حتى يموتوا فيه جوعاً وعطشاً"<sup>(١٢٢)</sup>. والله اعلم.

ومن إيثار (في) على (على) ما ورد في قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: الآية ٢٤].

نلاحظ أن السياق القرآني خالف بين حرفي الجر (على) و(في)، فاستعمل (على) مع الهدى فقال: ﴿لَعَلَى هُدًى﴾ ثم أثر عليه (في) مع الضلال فقال: ﴿أَوْ فِي ضَلَالٍ﴾ ولو جرى السياق على نمط واحد لقال: (لَعَلَى هُدًى أَوْ عَلَى ضَلَالٍ). ولابد لهذه المخالفة بين الحرفين من مغزى.

وقد وقف الزمخشري على نكتة هذا الإيثار فقال: "فَبِإِنْ قُلْتَ: كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال؟ قلت: لأنَّ صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه"<sup>(١٢٣)</sup>.

وهذه الصورة التي رسمها التعبير القرآني منطلقة من حقيقة (على) الدالة على الاستعلاء، و(في) الدالة على الظرفية أو الوعاء.

وقد وقف ابن القيم على السر في استعمال الأداة (على) عند تفسيره قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: الآية ٥] فقال: "في أداة (على) سر لطيف، وهو الإشعار بكون السالك على هذا الصراط على هدى وهو حق، كما قال في حق المؤمنين: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: الآية ٧٩] والله ﷻ هو الحق، وصراطه حق ودينه حق، فمن استقام على صراطه فهو الحق والهدى، فكان في أداة (على) على هذا المعنى ما ليس في أداة (إلى)، فتأمله فانه





سَرَّ بَدِيع. فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا الْفَائِدَةُ فِي ذِكْرِ (عَلَى) فِي ذَلِكَ أَيْضاً؟ وَكَيْفَ يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُسْتَعِلاً عَلَى الْحَقِّ وَعَلَى الْهَدْيِ؟ قُلْتُ: لَمَا فِيهِ مِنْ اسْتِعْلَاةٍ وَعُلُوِّهِ بِالْحَقِّ وَالْهَدْيِ مَعَ ثَبَاتِهِ عَلَيْهِ وَاسْتِقَامَتِهِ إِلَيْهِ، فَكَانَ فِي الْإِثْنَانِ بَادَاةُ (عَلَى) مَا يَدُلُّ عَلَى عُلُوِّهِ وَثُبُوتِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ، وَهَذَا بِخِلَافِ الضَّلَالِ وَالرَّيْبِ، فَإِنَّهُ يُؤْتَى فِيهِ بَادَاةُ (فِي)، الدَّالَّةُ عَلَى انْفِصَالِ صَاحِبِهِ وَانْقِمَاعِهِ وَتَدَسُّسِهِ فِيهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: الآية ٥٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَبُكِّمُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنعام: الآية ٣٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: الآية ٥٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: الآية ١١٠]. وَتَأْمَلْ قَوْلَهُ: ﴿وَأَنَا أَوْ يَأْخُذْ عَلَيَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: الآية ٢٤]، فَإِنْ طَرِيقَ الْحَقِّ تَأْخُذُ صَاعِداً بِصَاحِبِهَا إِلَى الْعُلِيِّ الْكَبِيرِ، وَطَرِيقَ الضَّلَالِ تَأْخُذُ سَفَلًا هَاوِيَةً بِسَالِكِهَا فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ<sup>(١٢٤)</sup>.

وَالْتَعْبِيرُ الْقُرْآنِيُّ فِي هَذَا رِسْمُ صُورَةٍ حَسْبِيَّةٍ لِصَاحِبِي الْحَقِّ وَالضَّلَالِ، فَالْأَوَّلُ، عَالِي الْمَكَاتَةِ وَالْمَقَامِ، يَرْقُبُ الْأَشْيَاءَ بِنَظَرِهِ وَيَنْفَسِحُ أَمَامَهُ الْأَفْقَ، فَيَرَى الْأَشْيَاءَ عَلَى حَقَائِقِهَا، بَلْ هُوَ مُسْتَعِلٌّ عَلَى نَوَازِعِ السَّقُوطِ وَالتَّسْفَلِ، عَلَى النَّقِیْضِ مِنَ الثَّانِي السَّاقِطِ فِي مَهَاوِي الضَّلَالِ الْمَنْغَمَسِ فِي لُجَّةِ الظُّلَامِ، لَا يَسْتَبِينُ طَرِيقَهُ وَلَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهْ، بَلْ هُوَ مُتَخَبِطُ الْفِكْرِ مَمْرُقُ النَّفْسِ مَسْلُوبُ الْإِرَادَةِ<sup>(١٢٥)</sup>.

ب. إِثَارَ (فِي) عَلَى (اللام).

مِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلُوقَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ٦٠].

الآيَةُ الْكَرِيمَةُ تَتَحَدَّثُ عَنْ ثَمَانِيَةِ أَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ تُعْطَى لَهُمُ الزَّكَاةُ. وَقَدْ خُصَّتِ الْأَصْنَافُ الْأَرْبَعَةُ الْأُولَى بِاللَّامِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ وَالْمَلِكِ<sup>(١٢٦)</sup>، فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلُوقَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ ثُمَّ أَثَرُ السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ عَلَى اللَّامِ الْحَرْفِ (فِي)، الدَّالُّ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ فِي الْأَصْنَافِ الْأَرْبَعَةِ الْأُخْرَى فَقَالَ: ﷺ: ﴿وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

وَقَدْ تَسَاعَلَ الزَّمْخَشَرِيُّ عَنِ السَّرِّ فِي هَذَا الْإِثَارِ فَقَالَ: "فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ عَدَلَ عَنْ



اللام إلى (في) في الأربعة الأخيرة؟ قلت: للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصديق عليهم ممن سبق ذكره، لأن (في) للوعاء، فنبه على أنهم أحقّاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصباً، وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر، وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والإتقاذ، ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة، وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال - وتكرير (في) في قوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾، فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين<sup>(١٢٧)</sup>.

ويرى أحمد بن المنير الإسكندي، أن هناك سراً آخر في إثارة حرف الجر (في) على اللام " وذلك أن الأصناف الأربعة الأوائل ملاك لما عساه يدفع إليهم، وإثما يأخذونه ملكاً، فكان دخول اللام لائقاً بهم<sup>(١٢٨)</sup>، وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم، بل ولا يُصرف إليهم، ولكن في مصالح تتعلق بهم، فالمال الذي يصرف في الرقاب إنما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون، فليس نصيبهم مصروفاً إلى أيديهم، حتى يعبر عن ذلك باللام المشعرة بتملكهم لما يُصرف نحوهم، وإثما هم محال لهذا الصرف والمصلحة المتعلقة به. وكذلك العاملون إنما يُصرف نصيبهم لأرباب ديونهم تخليصاً لذمتهم لا لهم. وأما في سبيل الله فواضح فيه ذلك. وأما ابن السبيل فكأنه كان مندرجاً في سبيل الله، وإثما أفرد بالذكر تنبيهاً على خصوصيته مع أنه مجرد من الحرفين جميعاً<sup>(١٢٩)</sup>.

وخلاصة القول في الآية الكريمة، أن الأصناف الأربعة الأولى، يصرف المال إليهم حتى يملكوه ويتصرفوا فيه كيف شاءوا بدلالة لام الملك التي خصهم بها السياق القرآني، أما الأصناف الأربعة الأخيرة، فإن المال لا يصرف إليهم مباشرة ولا يملكون من التصرف فيه، بل يُؤدّى عنهم إلى جهات الحاجات المعبرة التي لأجلها استحقوا أسهم الزكاة، بدلالة حرف الظرفية (في)، التي يفهم منها أنهم محل أو ظرف لذلك الصرف لمصالح تتعلق بهم<sup>(١٣٠)</sup>.

٥. إثارة (اللام).

- إثارة (اللام) على (الباء).

من ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْتُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَىٰ قُلْ أَدْنَىٰ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: الآية ٦١].



نلاحظ أن فعل الإيمان عُدِي بالباء أولاً فقال: «يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» وأثر السياق عليه اللام ثانياً فقال: «وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ».

وقد وقف كثير من المفسرين عند هذا التركيب: (آمن به وآمن له) فقيل إن: آمن به وآمن له واحد<sup>(١٣١)</sup>.

وذهب الزجاج إلى أن المعنى: يصدق الله ويصدق المؤمنون فيما يخبرونه به<sup>(١٣٢)</sup>، وعلى هذا فالباء واللام زائدتان، وهو ما ذكره أبو حيان<sup>(١٣٣)</sup>، ونقله ابن منظور عن ثعلب<sup>(١٣٤)</sup>.

وذهب أبو البقاء العكبري إلى أن اللام زائدة، دخلت لتفريق بين (يؤمن) بمعنى (يصدق) و(يؤمن) بمعنى يثبت الأمان<sup>(١٣٥)</sup>.

ونقل أبو حيان عن المبرد أن اللام في «وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ»: "متعلقة بمصدر مقدر من الفعل، كأنه قال: وإيمانه للمؤمنين، أي: وتصديقه، وقيل: يقال: آمنت لك بمعنى (صدقتك)<sup>(١٣٦)</sup>، ومنه قوله: «وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا» [يوسف: الآية ١٧] وعندي [أي المبرد] أن هذه التي معها اللام في ضمنها باء، فالمعنى: ويصدق للمؤمنين فيما يخبرونه به، وكذلك: «وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا» بما نقوله لك<sup>(١٣٧)</sup>. جاء في معجم مقاييس اللغة في (أَمِنَ): "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، والمعنيان كما قلنا متدانيان"<sup>(١٣٨)</sup>.

وذهب قسم من المفسرين، إلى القول بتضمين فعل الإيمان المعدي باللام، معنى الاتقياد والاستجابة والإقرار، قال ابن عاشور في قوله تعالى: «أَفَتُظْمَنُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ» [البقرة: الآية ٧٥]: "اللام في قوله (لكم) لتضمين (يؤمنوا) معنى (يقرؤا)، وكأن فيه تلميحاً إلى أن إيمانهم بصدق الرسول ﷺ حاصل، ولكنهم يكابرون ويجحدون"<sup>(١٣٩)</sup>.

وبالتضمين قال الآلوسي، إذ إن قوله تعالى: «أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ» مغناه: يصدقوا مستجيبين لكم، وهو علة تعدي فعل الإيمان باللام، أو أن المعنى: يؤمنوا لأجل دعوتكم لهم، وعليه فالفعل منزل منزلة اللام، واللام لام الأجل<sup>(١٤٠)</sup>.

وذكر رشيد رضا في تفسير قوله تعالى: «يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ»: "أن نكتة تعدي الإيمان بالباء في (الله) تعالى وباللام في (المؤمنين) أن الأول على



الأصل (أمن به) ضد (كفر به) و(صدق به) ضد (كذب به)، وأما الثاني فقد ضمن معنى الميل والامتنان والجنوح للمؤمنين<sup>(١٤١)</sup>.

ويبدو أن الزمخشري كان أدق حساً وأرهم ذوقاً، في وضع اليد على الفرق الدقيق بين تعدية فعل الإيمان بالباء أولاً وباللام ثانياً، بقوله: "فإن قلت: لم عدي فعل الإيمان بالباء إلى الله تعالى وإلى المؤمنين باللام؟ قلت: لأنه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به، فعدي بالباء، وقصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقوه لكونهم صادقين عنده، فعدي باللام، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: الآية ١٧] ما أنباه عن الباء؟ ونحوه: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾ [يونس: الآية ٨٣]، ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَتَتَّبِعُكَ الْأَنْزِلُونَ﴾ [الشعراء: الآية ١١١]، ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آتَنَ لَكُمْ﴾ [طه: الآية ٧١]<sup>(١٤٢)</sup>.

كما علل محمد الأمين الخضري هذه التعدية بقوله: "فالباء بما تدل عليه من الملازمة والمصاحبة والإصاق، تخلع على فعل الإيمان، وجود الأمن في ظلال من يؤمن به ويلتمس الحماية في صحبتته، والطمأنينة في ملاسته، فيكون حريصاً على رضاه عاملاً بما يأمره به، ولذلك فإن الإيمان لا يتعدى بالباء إلا في الإيمان بالله ورسله وكتبه، لما أن الإيمان بالرسول هو امتداد للإيمان بالله، وكذلك الإيمان بالكتب، لأن الكتب كلام الله. أما اللام فإن الفعل يكتسب معها معنى الاستجابة للمصدق فيما دعا إليه، والاحتياز له في رأيه أو ما جاء به، انطلاقاً من طبيعة اللام الدالة على اختصاصه بهذه المزية"<sup>(١٤٣)</sup>.

وقد وقف علماء التفسير، الذين خاضوا في متشابه اللفظ في القرآن الكريم، على العلة في تعدية فعل الإيمان بالباء مرة وباللام أخرى، وذلك عند كلامهم على قوله تعالى - في حكاية فرعون لأتباعه في قصة سيدنا موسى عليه السلام -: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آتَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٢٣] وقوله: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آتَنَ لَكُمْ﴾ [طه: الآية ٧١ والشعراء: الآية ٤٩] فالسر في ذلك عند الكرماني: "أن الضمير في (به) هنا يعود إلى رب العالمين وهو (المؤمن به) سبحانه، وفي السورتين يعود إلى موسى وهو (المؤمن له)"<sup>(١٤٤)</sup>.

قال الخطيب الإسكافي: "إن الهاء في (آمَنْتُمْ به) غير الهاء في (آمَنْتُمْ له)،



وكل واحدة تعود الى غير ما تعود اليه الأخرى، فالتى في (آمنتم به) لرب العالمين، لأنه تعالى حكى عنهم: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٢١] وهو الذي دعا إليه موسى عليه السلام ... وأما الهاء في (آمنتم له) فلموسى عليه السلام ... ويجوز ان يكون الهاء في ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾ ضمير موسى عليه السلام<sup>(١٤٥)</sup> لأنه يجوز أن يقال: آمن بالرسول، أي: أظهرتم تصديقه وأقدمتم على خلافي قبل أن أذن لكم فيه، وهذا المكر مكرتموه وسرراً أسررتموه لتقبلوا الناس عليّ. فافتضى هذا الموضع الذي ذكر فيه المكر إنكار الإيمان به، فأما (الإيمان له) في الموضعين الآخرين، فاللام تفيد معنى الإيمان من أجله، ومن أجل ما أتى به من الآيات، فكأنه قال: آمنتم برب العالمين لأجل ما ظهر لكم على يدي موسى عليه السلام من آياته، وفي الموضع الذي ذكر فيه من أجله وعبر عنه باللام هو الموضع الذي قصد فيه إلى الإخبار بأنه كبيركم الذي علمكم السحر، فلذلك خص باللام، والأول خص بالباء. وقد تدل اللام على الاتباع فيكون المعنى: اتبعتموه لأنه كبيركم في عمل السحر<sup>(١٤٦)</sup>.

ويتضح من هذا أنه يترجح عند الإسكافي أن الضمير (الهاء) في ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾ يعود إلى رب العالمين، وهو ما ذهب إليه جل المفسرين<sup>(١٤٧)</sup>.

وجاء في (ملاك التأويل) - في ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾ و﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾ - إن الباء تحرز التصديق، واللام تحرز الانقياد والإذعان، والباء المعطية معنى التصديق أخص بالمقصود من اللام، كأنه قيل لهم: أصدقتموه منقادين له في دعائه إياكم إلى الإيمان بما جاء من عند الله؟ فحصل المقصود على أكمل وجه<sup>(١٤٨)</sup>.

ويظهر مما سبق أنه يترجح أن يكون التركيب (آمن به) يرد في سياق الإيمان بالله ورسله وكتبه، لما أن الإيمان بالرسول وبالكاتب هو امتداد للإيمان بالله، وهذا ينطلق من طبيعة الباء الدالة على الملازمة والمصاحبة والإصاق، أما التركيب (آمن به) فيرد في سياق تصديق البشر واستجابتهم وانقيادهم لبعضهم، انطلاقاً من طبيعة اللام المختصة بهذه المزايا<sup>(١٤٩)</sup>.

أما ما ورد في القرآن من مواضع، ذكر فيها فعل الإيمان متعبداً بالباء إلى غير الله تعالى، وموضوع الإيمان فيها ليس فيه تصديق، نحو قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: الآية ٥٠] وقوله سبحانه: ﴿أَقْبِلْ الْبَاطِلَ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: الآية ٦٧] فهو وارد في سياق التوبيخ وتسفيه الاعتقاد



وإظهار زيفه<sup>(١٥٠)</sup>.

ومن هذا يفهم أن فعل الإيمان، تختلف دلالاته باختلاف الحرف الداخل عليه، كما مر في قولنا مثلاً: رغبت فيه ورغبت عنه، فإن الفعل واحد والمعنى مختلف.

\*\*\*

٦. إيثار (من).

أ. إيثار (من) على (الباء).

من ذلك قوله ﷺ: «وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِن سَبِيلٍ\* وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ» [الشورى: الآيتان ٤٤ - ٤٥].

ذهب جمع من علماء العربية إلى أن (من) في قوله تعالى: «يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ» بمعنى الباء، أي: ينظرون بطرف خفي، ويستشهدون بالآية الكريمة<sup>(١٥١)</sup>.

ونذكر المرادي أن من معاني (من) أن تكون موافقة للباء نحو «يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ» وذكر أن الأخفش نقل عن يونس أن المعنى: ينظرون بطرف خفي، كما تقول العرب: ضربته من السيف أي بالسيف<sup>(١٥٢)</sup>. وقال الدماميني: إن أريد يكون الطرف آلة للنظر فـ(من) بمعنى الباء كما قال يونس، وإن أريد أن الطرف وقع النظر منه ابتداء فـ(من) لا ابتداء الغاية لا بمعنى الباء، فهما معنيان متغايران موكلان إلى إرادة المستعمل<sup>(١٥٣)</sup>.

وأجاز السمين الحلبي أن تكون (من) هنا لا ابتداء الغاية، وأن تكون تبعيضية وأن تكون بمعنى الباء، وذكر أنه بكل قد قيل<sup>(١٥٤)</sup>. ورجح ابن هشام أن تكون لا ابتداء الغاية<sup>(١٥٥)</sup>.

وقيل إن وصف النظر بـ(الخفي)، أنهم يحشرون عمياً، ولما كان نظرهم بعيون قلوبهم جعله طرفاً خفياً<sup>(١٥٦)</sup>. وعند الزمخشري وأبي حيان أن هذا التأويل فيه تعسف<sup>(١٥٧)</sup>. وقيل: وصف بالخفاء لأن نظرهم ذليل ضعيف<sup>(١٥٨)</sup>.

والتحقيق أن (من) ليست بمعنى الباء، لأن المعنى ليس عليه، لأنه لا يراد أنهم ينظرون بطرفهم وإلا لعدل السياق القرآني إليه، والله اعلم.

وللزمخشري حسٌ دقيق في تصور المعنى الذي يدل عليه الواقع المشاهد، في صورة أولئك الصاغرين المتضائلين مما يلحقهم من الذل، قال: «يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ» أي: يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقة، كما ترى المصبور ينظر إلى السيف، وهكذا نظر الناظر إلى المكاره لا يقدر أن يفتح



## إيثار حروف الجر بعضها على بعض



أجفاته عليها ويملاً عينيه منها، كما يفعل في نظره إلى المحاب<sup>(١٥٩)</sup>.  
والمعنى كما نقله أبو حيان أنهم "يسارقون النظر لما كانوا فيه من الهم  
وسوء الحال، لا يستطيعون النظر بجميع العين وإنما ينظرون من بعضها"<sup>(١٦٠)</sup>.  
وعلى هذا فإن (من) على بابها في إفادة معنى التبعية، كما يشي بذلك واقع  
الشخص المنهار أمام سيافه.

وفي هذا المعنى قال الدكتور فاضل السامرائي: "ويترجح عندي أنها  
للتبعية، أي: ينظرون ببعض طرفهم، وهو المناسب لمشهد الذل الذي هم فيه،  
ومثله في حياتنا اليومية أن يغضب أب على ابنه في فطة فينهره ويُقلظ عليه،  
والابن لا يستطيع مواجهة أبيه بكل طرفه، بل ينظر إليه ببعض طرفه"<sup>(١٦١)</sup>.  
وبسبب إرادة هذا المعنى أثر التعبير القرآني (من) على الباء، والله اعلم.  
وهذا "تجسيد بارع وتصوير رائع لمن يقف أمام الموت الذي ينتظره،  
والسيف مُصَلَّت على رأسه يرأىء بأجفاته، ويحركها تحريكاً ضعيفاً خفياً يمكنه  
من مسارقة النظر، فإن من ينظر إلى أمر مكروه يستهول أمره، ويزوي نظره  
عنه، بيد أنه لا يتمالك دون أن يرمق ما يكرهه، وما يتوقع حدوثه رقماً  
سريعاً"<sup>(١٦٢)</sup>.

ب. إيثار (من) على (في).

مثال ذلك قوله عزت حكيمته: ﴿وَلَا تُؤْثِرُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ  
قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا.... وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو  
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: الآيتان  
٥ و ٨].

نلاحظ أن السياق القرآني المعجز أتى بـ(في) مع فعل الرزق أولاً فقال:  
﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾، ثم أثر الحرف (من) معه ثانياً فقال: ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ ولم يجر  
السياق على نمط واحد.

والآية الأولى هي خطاب للأولياء في أموال اليتامي<sup>(١٦٣)</sup>، بدليل قوله تعالى  
بعد: ﴿وَابْتُلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ  
أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: الآية ٦]، فالعلة إذن في استعمال حرف الظرفية (في) في قوله  
تعالى: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أنهم يجعلون الأموال نفسها ظرفاً للرزق ومكاناً له، وفي  
ذلك دعوة للأولياء إلى استثمار أموال اليتامي، وأن تكون النفقة عليهم من أرباح  
المال لا من أصله، أي: "اجعلوها مكاناً لرزقهم، بأن تتجروا فيها وتربحوا حتى  
تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال، فلا يأكلها الإحتقار"<sup>(١٦٤)</sup>.

وهذا المعنى هو الذي "يقتضيه جعل الأموال نفسها ظرفاً للرزق والكسوة،  
ولو قيل (منها) لكان الإحتقار من نفس المال"<sup>(١٦٥)</sup>، وذكر أبو حيان أنه "قال (فيها)  
ولم يقل (منها)، تنبيها على ما قاله عليه الصلاة والسلام ((ابتغوا في أموال



## إيثار حروف الجر بعضها على بعض



اليتامى التجارة لا تأكلها الزكاة))، والمستحب أن يكون الإنفاق عليهم من فضلاتها المكتسبة<sup>(١٦٦)</sup>. واستشهد أبو حيان على ذلك بقول ابن عباس رضي الله عنه: "لا تعد إلى هلاك الشيء الذي جعله الله لك معيشة، فتعطيه امرأتك أو بنيك ثم تنظر إلى ما في أيديهم، وامسك ذلك وأصلحه، وكن أنت تنفق عليهم في رزقهم وكسوتهم ومؤنتهم"<sup>(١٦٧)</sup>.

هذه علة المجيء بـ(في) أولاً، أما إيثار السياق القرآني (من) ثانياً في قوله تعالى: «وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا» فإنه أراد معنى (التبعية) أي: ادفعوا لهم بعضاً من أصل مال الميراث، على سبيل الإحسان وتطبيب النفوس<sup>(١٦٨)</sup>. ومن هنا تظهر حكمة تعدي فعل الرزق بـ(في) أولاً وبـ(من) ثانياً. فوضع كل حرف في المكان اللائق به، والله اعلم.

وأرى أن فيما ذكر من أمثلة كفاية، للإدلال على أسرار إيثار حروف الجر بعضها على بعض في لغة التنزيل المعجز.

والخلاصة، أن هذا البحث لم يأخذ بمذهب الكوفيين القائلين بتناوب حروف الجر فيما بينها، كما أنه لم يأخذ بمذهب البصريين القائلين بتضمين الفعل معنى فعل آخر ليتسنى تعديته بالحرف الموجود، إذ إن الترخص في الأخذ بمذهب الكوفيين إنما هو عدول عن المعاني الظاهرة المقصودة إلى معان مضمرة غير مقصودة، وذلك سيؤدي إلى ضرب من العجمة وعدم البيان، وإلى فوضى في التعبير لا حد لها. وأن الأخذ بمذهب البصريين محمول على الحيرة والاضطراب، كما قال بذلك بعض القدماء والمحدثين.

لذا فإن هذا البحث يرى أن لكل حرف معناه الذي وضع له في اللغة حقيقة، يؤديه من خلال تركيبه مع الفعل وفاقاً لكثير من الباحثين. إذ "إن الفعل المعدي بالحروف المتعددة، لابد أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر، وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف، فإن ظهر اختلاف الحرفين ظهر الفرق، نحو: رغبت عنه ورغبت فيه، وعدلت إليه وعدلت عنه، وملت إليه وملت عنه، وسعيت إليه وبه، وإن تفاوت معنى الأدوات غير الفرق، نحو: قصدت إليه وقصدت له وهديته إلى كذا وهديته لكذا"<sup>(١٦٩)</sup>.

ولا تدرك علة هذا الإيثار من أول وهلة، وإنما بعد طول تأمل ونفاذ في بواطن المسائل، متجاوزاً الظواهر المكشوفة إلى الخفايا المستترة. وبعد، فهذا جهد العقل، فإن وفقت فذاك ما كنت أبغي، وإن كانت الأخرى فهي من نفسي، وحسبي أني بذلت الجهد. وما توفيقي إلا بالله وهو حسبي ونعم الوكيل. و:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث





## الهوامش

١. البيان والتبيين: ٢٠/١.
٢. ينظر: تناوب حروف الجر في لغة القرآن: ٥.
٣. ينظر: معاني القرآن: للأخفش: ٣١٦/١.
٤. ينظر: الخصائص: ٣٠٦/٢ - ٣٠٨؛ والجنى الداني في حروف المعاني: ٢٤، ٤٦؛ ومغني اللبيب: ١٠٤/١، ١١١؛ ومعاني النحو: ٣/٦ - ٧.
٥. مغني اللبيب: ١١١/١؛ وينظر: الجنى الداني: ٤٦؛ ومعاني النحو: ٣/٦ - ٧.
٦. ينظر: تناوب حروف الجر: ٥.
٧. الإصناف في مسائل الخلاف: ٤٨١/٢ مسألة (٦٧)؛ وينظر: تناوب حروف الجر: ٤٩.
٨. معاني القرآن وإعرابه: للزجاج: ٤١٦/١؛ وينظر: روح المعاني: ١٧٥/٣.
٩. الكشف: ٥٠٢/٣. [هكذا عبر الزمخشري عن ذلك بقوله: (فإن قلت) مع العلم أن هذا القول هو كلام الله].
١٠. الخصائص: ٣٠٦/٢ - ٣٠٨؛ وينظر تفصيل القول في التضمنين: الاشباه والنظائر في النحو: ١٣٣/١ - ١٣٨؛ وبحث الأستاذ حسين والي عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، منشور ضمن كتاب: النحو الوافي: ٢/٤٣٦ - ٤٥٢؛ وفقه اللغة المقارن: ٢٠٧ - ٢١٩؛ وتناوب حروف الجر: ٤٩ - ٨٢.
١١. بدائع الفوائد: ٢/٢١.
١٢. للكلبيات: ٥٠.
١٣. حاشية السيد الشريف الجرجاني على تفسير الكشاف: ٩٧/١.
١٤. النحو الوافي: ٢/٤٣٧.
١٥. للكشاف: ٢/٧١٧؛ وينظر: شرح المفصل: ٨/١٥؛ ومعاني النحو: ٣/١٣، ١٤.
١٦. شرح المفصل: ٨/١٥.
١٧. فقه اللغة المقارن: ٢١٥؛ وينظر: تناوب حروف الجر: ٦٥.
١٨. ينظر: تناوب حروف الجر: ١٧.
١٩. المعجم الوسيط: (خرج): ٢٢٤.
٢٠. من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم: ١٧.
٢١. الصحاح: (رغب): ١/١٣٧.
٢٢. المعجم الوسيط: (رغب): ٣٥٦.
٢٣. ينظر: الجنى الداني: ٢٥٠؛ ومغني اللبيب: ١٦٨/١.
٢٤. الجنى الداني: ٢٤٥؛ ومغني اللبيب: ١/١٤٧.
٢٥. معاني النحو: ٩/١.
٢٦. ينظر: الكشف: ٥٠٦/٢؛ وللتبيان في إعراب القرآن: ٧٤٦/٢؛ والجنى الداني: ٤٥؛ ومغني اللبيب: ١٠٦/١، وروح المعاني: ١٣/٥٩؛ ومعاني النحو: ٣/٢٥.
٢٧. ينظر: الجنى الداني: ٤٥؛ ومغني اللبيب: ١/١٠٦؛ وروح المعاني: ١٣/٥٩؛ وتناوب حروف الجر: ٨٨.
٢٨. الكتاب: ٤/٢١٧؛ وينظر: الجنى الداني: ٣٦؛ ومغني اللبيب: ١/١٠١.



٢٩. للكشاف: ٥٠٦/٢.
٣٠. البحر المحيط: ٣٤٢/٥.
٣١. روح المعاني: ٥٩/١٣.
٣٢. البرهان في علوم القرآن: ١٠٩/٤.
٣٣. معاني النحو: ٢٥-٢٦.
٣٤. ينظر: الكتاب: ٤/٢٢٦؛ والمقتضب: ٤/١٣٩؛ والجنى الداني: ٢٥٠؛ ومغني اللبيب: ١/١٦٨.
٣٥. ينظر: من أسرار حروف الجر: ٦٩؛ وينظر: الأعجاز البياتي في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم: ١٣٩.
٣٦. للكشاف: ١١٣/٢؛ وينظر: الانتصاف من الكشاف: ١١٣/٢.
٣٧. روح المعاني: ١٥٠-١٥١.
٣٨. للكشاف: ١١٦-١١٧.
٣٩. ينظر: الجنى الداني: ٤٣؛ ومغني اللبيب: ١/١٠٥؛ وشرح التصريح على التوضيح: ١٣/٢.
٤٠. ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٥٧٥؛ والبحر المحيط: ٨/٣٨٧؛ والبرهان في علوم القرآن: ٤/١٥٤؛ وروح المعاني: ٢٩/١٩٥.
٤١. معاني القرآن: للفرأء: ٣/٢١٥.
٤٢. البحر المحيط: ٨/٣٨٧؛ وروح المعاني: ٢٩/١٩٥؛ وينظر: معجم القراءات القرآنية: ٨/٢١.
٤٣. بدائع الفوائد: ٢/٢١؛ وينظر: البحر المحيط: ٨/٣٨٧.
٤٤. ينظر: الأعجاز البياتي في العدول النحوي: ١٤٧.
٤٥. البرهان في علوم القرآن: ٣/٢١١.
٤٦. معاني النحو: ٣/٢٥؛ وينظر: التعبير القرآني: ١٩٠.
٤٧. ينظر: الإعجاز البياتي في العدول النحوي: ١٤٩.
٤٨. ينظر: الكشاف: ٤/٦٦٨؛ والبحر المحيط: ٨/٣٨٨؛ وروح المعاني: ٢٩/١٩٥.
٤٩. للكشاف: ٤/٦٦٨.
٥٠. التعبير القرآني: ١٩٠-١٩١.
٥١. ينظر: الأعجاز البياتي في العدول النحوي: ١٤٩.
٥٢. ينظر: في ظلال القرآن: ٨/٣٩٧.
٥٣. ينظر: الجنى الداني: ٣٨٥؛ ومغني اللبيب: ١/٧٤.
٥٤. ينظر: الجنى الداني: ٤٧٦؛ ومغني اللبيب: ١/١٤٣.
٥٥. لسان العرب: (روغ): ٣٩٣/٥.
٥٦. معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٢٣٣.
٥٧. من أسرار حروف الجر: ٢٤١؛ وينظر: الإعجاز البياتي في العدول النحوي: ١٥٤.
٥٨. الكتاب: ٤/٢٣٠؛ وينظر: المقتضب: ١/٤٦؛ وشرح المفصل: ٨/٣٧.
٥٩. المعجم الوسيط (غدا): ٦٤٦.
٦٠. الكشاف: ٤/٥٩٠.



## إيثار حروف الجر بعضها على بعض



٦١. البحر المحيط: ٣٠٦/٨.
٦٢. القاموس المحيط: (غذوة): ٣٦٩/٤.
٦٣. روح المعاني: ٣٧/٢٩.
٦٤. درة التنزيل و غرة التلويل: ٤٠٣، ٣٥.
٦٥. لسان العرب (أخذ): ٨٤٦/٢؛ وينظر: البحر المحيط: ٤٧٩/٥.
٦٦. معاني القرآن وإعرابه: للزجاج: ٢/٣؛ وإعراب القرآن: للنحاس: ٣٩٧/٢.
٦٧. معجم مفردات ألفاظ القرآن: ١٨٠.
٦٨. ينظر: معاني القرآن وإعرابه: للزجاج: ٢/٣؛ والكشاف: ٦٠٨/٢.
٦٩. روح المعاني: ١٥٢-١٥٣.
٧٠. من أسرار حروف الجر: ٦٩.
٧١. م.ن؛ وينظر: الأعجاز البياتي في العدول النحوي: ١٣٨.
٧٢. ينظر: الجنى الداني: ٩٦؛ ومقني اللبيب: ٢٠٨/١.
٧٣. الخصائص: ٢٧٠/٢-٢٧١؛ وينظر: لسان العرب (علا): ٨/٥٣٢؛ والمقتضب: ٤٦/١، ٥١.
٧٤. الكشاف: ٣٣٢/١.
٧٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٩٣/١.
٧٦. روح المعاني: ٦٩/٣.
٧٧. أمالي المرتضى: ٣٥٢/١؛ وينظر: نظرية الحروف العاملة ومبناها وطبيعة استعمالها القرآني بلاغياً: ١٦٦.
٧٨. ينظر: مفتاح العلوم: ٢٠٠؛ والأيضاح في علوم البلاغة: ١٩٢؛ وفتح منزل المباني بشرح أقصى الأمان في البيان والبدیع والمعاني: ٦٣؛ ومفترك الأقران في إعجاز القرآن: ٣١٤/١؛ وجواهر البلاغة: ٣٦٦.
٧٩. الكشاف: ٣٣٢/١.
٨٠. المحرر الوجيز: ٣٩٣/١.
٨١. البحر المحيط: ٣٨٢/٢.
٨٢. الخصائص: ٢٦٤/٣-٢٦٥؛ وينظر: لسان العرب (كسب): ١/٦٥٦-٦٥٧.
٨٣. البرهان في علوم القرآن: ٤٣/٣.
٨٤. الصحاح (كسب): ٢١٢/١؛ وينظر: مختار الصحاح (كسب): ٥٧٠.
٨٥. البحر المحيط: ٣٨١-٣٨٢/٢.
٨٦. ينظر: للكتاب: ٧٤/٤.
٨٧. معاني الأبنية في العربية: ٧.
٨٨. روح المعاني: ٨٧/٣٠، ٨٨.
٨٩. ينظر: معاني القرآن: للفرأء: ٣/٢٤٦؛ وتأويل مشكل القرآن: ٣٧٩؛ ومعاني القرآن وإعرابه: للزجاج: ٢٩٧/٥؛ ومقني اللبيب: ١٤٤/١؛ ولسان العرب (كيل): ٦/٦٧٤.
٩٠. ينظر: لسان العرب (كيل): ٦٧٤/٦.
٩١. روح المعاني: ٨٧/٣٠؛ وينظر: شرح الدماميني على مقني اللبيب: ٢٨٩/١.



٩٢. الكشف: ٧١٩/٤؛ وينظر: روح المعاني: ٨٧/٣٠.
٩٣. الكشف: ٧١٩/٤.
٩٤. معاني النحو: ٥٠/٣.
٩٥. ينظر: المقتضب: ٦/١؛ وشرح المفصل: ٨/٣٧؛ وشرح الرضي على الكافية: ٢/٣٧٩.
٩٦. ينظر: مقني اللبيب: ١/١٤٧؛ ومعاني النحو: ٥٣/٣.
٩٧. شرح التصريح على التوضيح: ١٥/٢.
٩٨. الكشف: ٣٣٠/٤؛ والبحر المحيط: ٨٥/٨؛ وروح المعاني: ٢٦/٨٢.
٩٩. ينظر: الصحاح (بخل): ٤/١٦٣٢؛ ومختار الصحاح (بخل): ٤٢.
١٠٠. ينظر: الكشف: ٣٣٠/٤؛ والبحر المحيط: ٨٥/٨؛ وروح المعاني: ٢٦/٨٢.
١٠١. روح المعاني: ٢٦/٨٢.
١٠٢. معاني النحو: ٥٣/٣.
١٠٣. ينظر: الجنى الداني: ٢٤٥؛ ومقني اللبيب: ١/١٤٧.
١٠٤. الكتاب: ٤/٢٢٦-٢٢٧؛ وينظر: الجنى الداني: ٢٤٥؛ ومقني اللبيب: ١/١٤٧.
١٠٥. ينظر: للكتاب: ٤/٢٢٤؛ والجنى الداني: ٣٠٨؛ ومقني اللبيب: ١/٣١٨.
١٠٦. من أسرار حروف الجر: ٣٢٢.
١٠٧. الكشف: ٩٣/٢؛ وينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٣/٢٤٣.
١٠٨. البحر المحيط: ٤/٢٧٧-٢٧٨.
١٠٩. التفسير الكبير: ٤/٤٢؛ وينظر: علل التعبير القرآني عند الرازي في التفسير الكبير: ٨٠.
١١٠. الكشف: ٩٣/٢.
١١١. ينظر: الأعجاز اللباني في العول النحوي: ١٤٥.
١١٢. ينظر: مجاز القرآن: ١٦٦؛ وحروف المعاني: للزجاجي: ١٢؛ والبحر المحيط: ٦/٢٤٢؛ والجنى الداني: ٢٥٠؛ ومقني اللبيب: ١/١٦٨؛ وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣/٣٩.
١١٣. ديوان عنتر بن شداد: ٢١٢؛ وشرح المعقات السبع: للزوزني: ١٢٦؛ وينظر: الخصائص: ٣١٢/٢؛ والبحر المحيط: ٦/٢٤٢؛ ومقني اللبيب: ١/١٦٩.
١١٤. مختار الصحاح (سرح): ١/٣٧٤.
١١٥. ينظر: الخصائص: ٢/٣١٣؛ ومقني اللبيب: ٢/١٦٨؛ وشرح شواهد المقني: ١/٤٧٩.
١١٦. معاني القرآن للقرءاء: ٢/١٨٦-١٨٧.
١١٧. البرهان في علوم القرآن: ٤/١٠٩-١١٠.
١١٨. شرح المفصل: ٨/٢١؛ وينظر: الاقتضاب في شرح لب الكتاب: ٢/٢٦٧.
١١٩. ينظر: للكتاب: ٤/٢٢٦؛ والمقتضب: ١/٤٥؛ والخصائص: ٢/٣١٣.
١٢٠. ينظر: الكشف: ٣/٧٦؛ وشرح المفصل: ٨/٢٠؛ والبحر المحيط: ٦/٢٤٢؛ ومقني اللبيب: ١/١١١؛ والبرهان في علوم القرآن: ٤/١٨٢.
١٢١. روح المعاني: ١٦/٢٣١؛ وينظر: معاني النحو: ٣/٧.
١٢٢. البحر المحيط: ٦/٢٤٢-٢٤٣؛ وينظر: تنابح حروف الجر: ٣٨.



## إيثار حروف الجر بعضها على بعض



١٢٣. الكشف: ٥٨٢/٣؛ وينظر: البحر المحيط: ٢٦٨/٧؛ والبرهان في علوم القرآن: ٤/ ١٠٩؛ وروح المعاني: ١٤٠/ ٢٢.
١٢٤. التفسير القيم: ١٥ - ١٦.
١٢٥. ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤/ ١٠٩؛ وروح المعاني: ١٤٠/ ٢٢؛ والأعجاز البياتي في المدلول النحوي: ١٣٧.
١٢٦. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤/ ٣٦٧؛ والجنى الداني: ٩٦؛ ومقني اللبيب: ٢٠٨/ ١.
١٢٧. الكشف: ٢٨٣/ ٢؛ وينظر: روح المعاني: ١٢٤/ ١٠.
١٢٨. ينظر ما قيل في اللام هنا: للتوجيه النحوي في كتب أحكام القرآن: ١٤٤ - ١٤٧.
١٢٩. الانتصاف من الكشف: ٢/ ٢٨٣.
١٣٠. ينظر: التفسير الكبير: ١١٥/ ١٦.
١٣١. أسرار التكرار في القرآن: ١٢٩؛ وينظر: البحر المحيط: ٤/ ٣٦٥.
١٣٢. معاني القرآن وإعرابه: للزجاج: ٢/ ٤٥٧.
١٣٣. البحر المحيط: ٥/ ٦٤.
١٣٤. لسان العرب (أمن): ٦٢٣/ ٧.
١٣٥. التبيان في إعراب القرآن: ٢/ ٦٤٨.
١٣٦. ينظر: معجم مقاييس اللغة (أمن): ١/ ١٣٤.
١٣٧. البحر المحيط: ٥/ ٦٥.
١٣٨. معجم مقاييس اللغة (أمن): ١/ ١٣٣.
١٣٩. تفسير: التحرير والتنوير: ١/ ٥٦٧.
١٤٠. روح المعاني: ١/ ٦٩٨.
١٤١. تفسير المنار: ١٠/ ٥١٩.
١٤٢. الكشف: ٢/ ٢٨٥.
١٤٣. من أسرار حروف الجر: ٢١١.
١٤٤. أسرار التكرار في القرآن: ١٢٩.
١٤٥. ملاك التأويل: ١/ ٥٧٠.
١٤٦. درة التنزيل وغرة التأويل: ١٧٦ - ١٧٧.
١٤٧. ينظر فضلاً عما سبق: البحر المحيط: ٤/ ٣٦٥؛ والدر المصون: ٣/ ٣٢٤؛ وروح المعاني: ٩/ ٢٧.
١٤٨. ملاك التأويل: ١/ ٥٧٢.
١٤٩. ينظر: من أسرار حروف الجر: ٢١١؛ والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٤٥؛ ونظرية الحروف العاملة: ١٧٧.
١٥٠. الكشف: ٤٦٤/ ٣؛ وينظر: الإعجاز البياتي في المدلول النحوي: ١٦٠.
١٥١. ينظر: مقني اللبيب: ١/ ٣٢١؛ والدر المصون: ٦/ ٨٧؛ وشرح الأسموني على ألفية ابن مالك: ٢/ ٢٨٨.
١٥٢. للجنى الداني: ٣١٤.



١٥٣. بنظر: حاشية العلمي على شرح التصريح: ١٢/٢.
١٥٤. الدر المصون: ٨٧/٦.
١٥٥. مقني اللبيب: ٣٢١/١.
١٥٦. بنظر: معاني القرآن: للفراء: ٢٦/٣؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤٠٢.
١٥٧. الكشف: ٢٣١/٤؛ والبحر المحيط: ٥٠١/٧.
١٥٨. بنظر: البحر المحيط: ٥٠١/٧.
١٥٩. الكشف: ٢٣١/٤؛ وينظر: معاني القرآن: للفراء: ٢٦/٣؛ وإعراب القرآن: للنحاس: ٤/٩١؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤/٤٠٢؛ وروح المعاني: ٥١/٢٥.
١٦٠. البحر المحيط: ٥٠١/٧.
١٦١. معاني النحو: ٧٨/٣.
١٦٢. إعراب القرآن وبيانه: ٥٠/٧؛ وينظر: في ظلال القرآن: ٧/٣٠٣.
١٦٣. بنظر: للجامع لأحكام القرآن: ٢١/٣.
١٦٤. الكشف: ٤٢٧/١.
١٦٥. روح المعاني: ٤/٢٠٣.
١٦٦. البحر المحيط: ١٧٨/٣.
١٦٧. البحر المحيط: ١٧٨/٣؛ وينظر: روح المعاني: ٤/٢٠٣.
١٦٨. بنظر: للجامع لأحكام القرآن: ٣/٢٥؛ وروح المعاني: ٤/٢١٢.
١٦٩. بدائع الفوائد: ٢١/٢.



### المصادر والمراجع

١. أسرار التكرار في القرآن المسمى: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان: محمود ابن حمزة الكرمانى، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة للنشر، القاهرة، ١٩٧٧م.
٢. الاشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطي، مراجعة وتقديم: د. فايز ترحيني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
٣. الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم: (أطروحة دكتوراه): د. عبد الله علي الهتاري، جامعة اليرموك، الأردن، (د.ت).
٤. إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين الدرويش، دار اليمامة للطباعة والنشر، دمشق، بيروت، ط٩، ٢٠٠٣م.
٥. إعراب القرآن: أبو جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.
٦. الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: البطلليوسي، تحقيق: مصطفى السقا ود. حامد عبد المجيد، منشورات دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط٢، ١٩٩٠م.
٧. أمالي المرتضى (غرر الفرائد ودرر القلائد): الشريف المرتضى، تحقيق: محمد أبي الفضل، دار إحياء الكتب، بيروت، ١٩٥٤م.
٨. الانتصاف من الكشاف: أحمد بن المنير الأسكندري، مطبوع على هامش تفسير الكشاف.
٩. الإتناف في مسائل الخلاف: أبو البركات الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، ١٩٦١م.
١٠. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
١١. الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، منشورات مكتبة النهضة، بغداد.
١٢. بحث الأستاذ حسين والي عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، منشور ضمن



- كتاب: النحو الوافي: عباس حسن، مكتبة المحمدي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧م.
١٣. بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٧م.
١٤. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، تقديم وتعليق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧م.
١٥. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية: د. محمد حسين أبو موسى، دار الفكر العربي، بيروت.
١٦. البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٧٤م.
١٧. تأويل مشكل القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، شرح وتعليق: السيد أحمد صقر، دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٩٧٣م.
١٨. التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٦م.
١٩. التعبير القرآني: د. فاضل السامرائي، مطابع دار الكتب، الموصل، العراق، ١٩٨٨م.
٢٠. تفسير البحر المحیط: أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشیخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧م.
٢١. تفسير التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٢٢. تفسير الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: د. عبد الحميد هندأوي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م.
٢٣. التفسير القيم: ابن قيم الجوزية، جمعه: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.
٢٤. التفسير الكبير: فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، طهران.
٢٥. تفسير الكشاف: الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦م.
٢٦. تفسير المنار: رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت.





٢٧. تفسير روح المعاني: شهاب الدين الألوسي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م.
٢٨. تناوب حروف الجر في لغة القرآن: د. محمد حسن عواد، دار الفرقان، الأردن، ط١، ١٩٨٢م.
٢٩. التوجيه النحوي في كتب أحكام القرآن: حيدر التميمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
٣٠. الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
٣١. جواهر البلاغة: السيد أحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، (د.ت.).
٣٢. حاشية السيد الشريف الجرجاني على تفسير الكشاف، طبعت مع الكشاف، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٤٨م.
٣٣. حاشية الطيمي على شرح التصريح: ياسين العليمي، مطبعة البابي الحلبي، مصر.
٣٤. حروف المعاني: أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
٣٥. الخصائص: ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط٢، (د.ت.).
٣٦. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي، تحقيق: علي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
٣٧. درة التنزيل وغرة التأويل: الخطيب الأسكافي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٧٣م.
٣٨. ديوان عنتر بن شداد، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
٣٩. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: الأشموني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٥٥م.



٤٠. شرح التصريح على التوضيح: خالد الأزهرى، مطبعة عيسى البابى الحلبي، مصر.
٤١. شرح الدماميني على مغني اللبيب، مطبوع على هامش حاشية الشمني على المغني، المطبعة البهية، مصر.
٤٢. شرح الرضي على الكافية في النحو: الرضي الأسترابادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.
٤٣. شرح المعلمات السبع: الزوزني، مكتبة النقاء، بغداد.
٤٤. شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت.
٤٥. شرح شواهد المغني: جلال الدين السيوطي، تصحيح: محمد محمود الشنقيطي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
٤٦. الصحاح: الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٤م.
٤٧. علل التعبير القرآني عند الرازي في التفسير الكبير (أطروحة دكتوراه)، د. أحمد جمعة الهيدي، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٩م.
٤٨. فتح منزل المباني بشرح أقصى الأمان في البيان والبلدع والمعاني: أبو يحيى زكريا الأنصاري، مطبعة الجمالية، مصر، ١٩١٤.
٤٩. فقه اللغة المقارن: د. إبراهيم السامرائي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.
٥٠. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٧، ١٩٧١م.
٥١. القاموس المحيط: مجد الدين محمد الفيروز آبادي، مؤسسة الحلبي للنشر، مصر.
٥٢. الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، ١٩٧٥م.
٥٣. الكليات - معجم المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء الكفوي: تحقيق: د.



## إيثار حروف الجر بعضها على بعض



- عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٧٦م.
٥٤. لسان العرب: ابن منظور، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
٥٥. مجاز القرآن: أبو عبيدة، تحقيق: أحمد فريد المزدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
٥٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي، فاس، المغرب، ١٩٧٥م.
٥٧. مختار الصحاح: أبو بكر الرازي، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣م.
٥٨. معاني الأنبية في العربية: د. فاضل السامرائي، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٨١م.
٥٩. معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
٦٠. معاني القرآن: الأخفش، تحقيق: د. عبد الأمير الورد، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
٦١. معاني القرآن: الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.
٦٢. معاني النحو: د. فاضل السامرائي، دار الحكمة للطباعة، الموصل، العراق، ١٩٩١م.
٦٣. معترك الأقران في إعجاز القرآن: أبو بكر السيوطي، ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
٦٤. معجم القراءات القرآنية: د. عبد العال سالم مكرم ود. أحمد مختار عمر، مطبوعات جامعة الكويت، ط٢، ١٩٨٨م.
٦٥. المعجم الوسيط: قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.
٦٦. معجم مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، ضبط وتصحيح: إبراهيم



- شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٨م.
٦٧. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، قم، إيران.
٦٨. مغني اللبيب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧م.
٦٩. مفاتيح العلوم: أبو يعقوب يوسف السكاكي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ١، ١٩٣٧م.
٧٠. المقتضب: المبرّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
٧١. ملك التأويل القاطع بذوي الألحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل: ابن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م.
٧٢. من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم: د. محمد أمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٩م.
٧٣. نظرية الحروف العاملة ومبناها وطبيعة استعمالها القرآني بلاغياً: الدكتور هادي عطية مطر الهلالي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م.